تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، فالمرجو صيانتها عن أي امتهان

تشكيل الحكومة المغربية بين القواعد الدستورية والبدائل الممكنة

ص9

وضعية المرأة بين المجتمع الإسلامي والمجتمع الغربي

ص8

المدير المؤسس
المفضل فلواتي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

3 دراهم

المحجة

نصف شهرية جامعة

AlmahajjaJournal | almahajjafes@gmail.com | www.almahajjafes.net

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج | 4 جمادى الآخر 1438هـ الموافق لـ 3 مارس 2017 | العدد :474

افتتاحية

معضلاتنا الاجتماعية وحلولها الإسلامية

تعيش بلداننا الإسلامية في وقتنا الحاضر مشكلات عديدة تنوعت ألوانها وتفاوتت أحجامها وتباينت آثارها حتى شملت سائر مجالات الحياة والقطاعات الاجتماعية، ولذا عجزت مؤسساتنا عن استيعاب هذه المشكلات بتشخيص أسبابها ووضع حلول لها. وهذه مشكلات نتجت في الأمة عن الضعف العام في تمثل الإسلام وتوجيهاته لحياة الإنسان والمجتمع وازدادت مع تقوي التبعية الفكرية والثقافية للغرب. ولذلك أصبحت حاجة الأمة ماسة للعودة إلى ذاتها وتلمس الحلول والهدايات التي تضمنها الإسلام للأمة خاصة والبشرية عامة: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: 9).

أولا: معضلاتنا الاجتماعية وحلولها الإسلامية:

إن حاجتنا إلى الإسلام حاجة متعددة الوجوه على رأسها:

أ - حلول الإسلام لبناء الإنسان السوي المتوازن:

فالإسلام يوجه الإنسان إلى بناء شخصية إنسانية متوازنة تجمع بين مطالب الروح والعقل والجسد باعتدال، وتوازن بين احتياجات الفرد والمجتمع من غير اختلال، وتحقق التوافق بين مختلف حقوق الله تعالى وحقوق الذات والغير. إن الفكر البشري الحديث قد أسرف في ربط الإنسان بالمادة والشهوة، وأغرق في الدعوة إلى الفردانية نظريا وإن كان في الواقع أحكم قبضة المجتمع على الفرد، وأغفل حقوق الله تعالى فأوغل في حرمان الإنسان من الأمن الروحي، وبسب ذلك كثرت المعضلات، وتفاقمت مظاهرها وتشعبت آثارها على البشرية كلها: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾(طه:124).

ب - حلول الإسلام لبناء الأسرة الصالحة:

إن توجيهات الإسلام في هذا المجال توجيهات في غاية الدقة والحكمة، من إقامة نظام الأسرة على ميثاق قوي وصحيح بين الزوجين، ورباط بينهما قائم على المكارمة والمودة والسكينة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم:21)،

كما أقام نظام العلاقة بين الأبناء والآباء على أسس أخلاقية ومبادئ إنسانية من الحقوق والواجبات من شأنها أن تحفظ مرتبة الآباء وتضمن كرامتهم في أبهى صورها، وأن ترتفع بالأبناء إلى أعلى درجاتها من التوازن النفسي والتوافق الاجتماعي والفعالية الإنسانية البانية.

وإن ميل البشرية اليوم إلى الانصياع للنظام الأسري الغربي زاد من مشكلاتها الأسرية عددا ونوعا؛ فقد الزوجان أخلاق التكارم والتساكن، وحرما من حقهما في الإكرام والاحترام من قبل الأبناء فكثرت دور العجزة كما كثرت دور الأيتام وأطفال الشوارع!!

ج - حلول الإسلام في التربية والتعليم:

لأن هدي الإسلام ومنهاجه تأسسا على الموازنة بين التربية والتعليم، وعدم الفصل بين العلم والعمل، ولا بين التصور والتصرف، وجَعَلا المدخل إلى ذلك كتاب الله تعالى وهدي رسول الله تعالى من أجل تخريج إنسان عابد لله تعالى عبادة جالبة للرحمة والمودة والخير للفرد والمجتمع معا، وإنسان جامع بين التدبر في القرآن والتفكر في عالم الأكوان وتسخير قوانينهما وموازينهما تسخيرا نافعا لبني الإنسان ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة: 2).

وبسبب تغييب هذه التوجيهات أصبحت مجتمعاتنا تعاني من التصحر الأخلاقي، ومن ظاهرة التنكر للدين ومجافاته، فكثرت مظاهر الانحراف، وأشكال الغلو في الدين جهلا بقواعده ومقاصده، والغلو في إنكاره إما جهلا بحكمه وأسراره أو تحاملا عليه لطمس أنواره.

د - حلول الإسلام لتحسين القضاء والإدارة:

لأن الإسلام اعتبرهما مجالا لأداء الحقوق وإقامة العمران البشري على أساس العدل والكرامة والنظام العام، وفيهما تظهر آثار الإيمان الحقيقية، وفيهما يوزن الإيمان والعمل ويتفاضل الناس في درجات الخير والنفع العام؛ وقد ورد عن النبي ﷺ أن «أَحَبّ النَّاس إلى الله أَنْفَعُهُمْ للنَّاس» (رواه الطبراني).

ولقد ضَعُف أداءُ الأمة في مجال التدبير العام وضاعت كثير من مصالح الأنام بسبب الفصل النكد بين الإيمان والعمل، وضعف القوانين الوضعية عن توجيه الفكر والسلوك كما هو الحال في الإسلام.

ثانيا: في كيفية إحياء النموذج الإسلامي:

لعل المدخل إلى الاستفادة من توجيهات الإسلام وتطبيقها في الحياة الخاصة والعامة يكمن في البحث في جذور المشكلة، وذلك كما يلي:

أولها: إعداد العنصر البشري المتشبع بالقيم الإسلامية النبيلة بكيفية متوازنة وإعداد أبناء الأمة خلقيا وعلميا انطلاقا من هدي الإسلام.

وثانيها: اعتماد المواد الإسلامية البانية للشخصية المسلمة القويمة في مختلف المؤسسات المعنية بالتربية والتعليم كالمدرسة والجامعة والإعلام والأسرة.

وثالثها: بناء المؤسسات الكفيلة بسد الخصاص والإسهام في تقوية النسيج الاجتماعي والتضامن والتكافل وتقديم النموذج الصحيح والصالح في دعم الإنسان وإدماجه في المجتمع إدماجا ماديا ومعنويا، إيمانيا وخلقيا.

وفي الختام: فإن حاجة الناس أفرادا وأمما وشعوبا إلى دين الله تعالى إنما هي حاجة إلى معية الله تعالى وحاجة إلى استشعار القرب منه تعالى بطاعته والعمل بهداياته واستجلاب رحماته التي تفضي إلى بناء الإنسان السوي النقي التقي، وإلى بناء المجتمع الإنساني المتراحم والمتلاحم والمتعاون والمتكامل، إنه نموذج الإنسان الذي جاء في وصية رسول الله ﷺ: «يَا غُلَامُ: اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وخَالِقِ النَاسَ بِخُلُقٍ حسن» (رواه التِّرْمِذِيُّ وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ).

من معاني الزكاة والتزكية في القرآن الكريم — ص 2

استهداف السنة النبوية: نظرة تاريخية — ص 4

من صفات الداعية إلى الله عز وجل — ص 5

وراثة الأرض ومعاييرها — ص 7

علم التوقيت: مفهومه وفوائده — ص 10

رسالة مفتوحة إلى امرأة رسالية — ص 13

من معاني الزكاة والتزكية في القرآن الكريم

دة. كلثومة دخوش

التزكية من المادة الثلاثية (زكا)، نقول: "زَكا زَكاء وزُكُوّاً وزَكِيَ وتَزَكّى، وزَكّاه الله، وزَكّى نفسَه تَزْكِية"، و"أصل الزكاة في اللغة الطهارة والنَّماء والبَركةُ والمَدْح"، كما جاء في لسان العرب، وزاد الراغب قيدا لهذا النماء، خاصا بالمعنى القرآني للمادة فقال: "أصل الزَّكَاة: النّموّ الحاصل عن بركة الله تعالى، ويعتبر ذلك بالأمور الدّنيويّة والأخرويّة".

وهذه المادة في القرآن الكريم، تدور على مصطلحين: الزكاة بمعنى الفرض المقترن بالصلاة في معظم آيات وروده، والتزكية والزكاة بمعنى التطهير أو بمعنى المدح والتعديل، قال ابن منظور عن الزكاة: "وهي من الأسماء المشتركة بين المُخرَج والفعل فيطلق على العين وهي الطائفة من المال المُزكّى بها وعلى المعنى وهي التَّزْكِيَة".

وهذه التأملات المتواضعة ستشمل المعنى الثاني دون الأول.

هذا المعنى الثاني توحي لنا القراءة الأولية لنصوصه بعدة أمور منها:

1 – التزكية التي هي بمعنى التطهير، وظيفة من وظائف الرسول ﷺ، ومقصد من مقاصد النبوة، يقول الله سبحانه وتعالى:

– ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 151).

– ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (آل عمران: 164).

– ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة: 2).

وكان ذلك استجابة من الله لخليله إبراهيم ﷺ الذي دعا الله قائلا: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: 129).

2 – يستعمل لفظ الزكاة بمعنى الطهارة والصلاح أيضا، كما في قوله سبحانه: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ (الكهف: 81).

3 – كما نلاحظ، من خلال آيات الورود، أن التزكية ترد على وجهي المدح والذم:

مثال الأول قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس: 9).

ومثال الثاني قوله سبحانه: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (النجم: 32).

والملاحظ في هذه التفرقة، ومتى تكون تزكية النفس مذمومة ومتى تكون محل ثناء وأجر، هو نوعها، قال الراغب: "وتَزْكِيَةُ الإنسان نفسه ضربان: أحدهما: بالفعل، وهو محمود، وإليه قصد بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾، والثاني: بالقول، كتزكية العدل غيره، وذلك مذموم أن يفعل الإنسان بنفسه، وقد نهى الله تعالى عنه فقال: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾، ونهيه عن ذلك تأديب لقبح مدح الإنسان نفسه عقلا وشرعا، ولهذا قيل لحكيم: ما الذي لا يحسن وإن كان حقّا؟ فقال: مدح الرّجل نفسه".

4 – التزكية يمكن أن تكون من عمل الإنسان بنفسه، فيزكي نفسه بنفسه، قال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: 9–10).

5 – ولكن كل تزكية لا يمكن أن يوَفق إليها الإنسان إلا برحمة من الله وفضل: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور: 21).

6 – تزكية النفس طريق الفلاح في الدنيا والآخرة، يقول عز من قائل:

– ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ (طه: 74–76).

– ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (فاطر: 18).

7 – تزكية النفس تكون بالإيمان وعمل الصالحات، وخشية الله وإقامة الصلاة، كما في الآيتين السابقتين.

8 – زكاة النفس نتيجة خفية كالتقوى لا يعلمها إلا الله تعالى لقوله سبحانه: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (النجم: 23).

9 – إخراج الصدقة المفروضة وسيلة للتزكية، بدليل قوله سبحانه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة: 103)، ولذلك اختص هذا الركن، الزكاة، بهذا الاسم.

هذا مجمل ما يستخرج من ظاهر نصوص ورود مصطلح التزكية، وأما مفهوم التزكية، فقد سبق معناها اللغوي المتمثل في الطهارة والنماء، وأما بالتأمل في الآيات الكريمة لمعرفة معنى التزكية في القرآن الكريم، فيمكننا أن نقول بداية: إن هذا المصطلح له دلالة ثقيلة ضمن دلالات كلمات القرآن، وذلك للأسباب الموالية:

- ارتباطه بالنفس الإنسانية .
- كونه من وظائف الرسول ﷺ أساسا.
- اعتباره مقصدا من مقاصد البعثة .
- ترتب الفلاح عنه.

ولأهمية تزكية النفس، أمر الله تعالى بالاستعانة عليها بالأعمال الصالحة كما سبق، حتى عد بعض الدارسين أن قوله تعالى في صفات المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (المؤمنون: 4) ، معناه: "أي: يفعلون ما يفعلون من العبادة ليزكّيهم الله، أو ليُزَكُّوا أنفسهم، والمعنيان واحد. وليس قوله: «للزّكاة» مفعولا لقوله: فاعلون»، بل اللام فيه للعلة والقصد" (الراغب الأصفهاني/مفردات القرآن).

فارتباط المصطلح بالنفس خاصة يضفي عليه نوعا من الصعوبة على مستوى الامتثال والتطبيق، باعتبار النفس عصية على التطهير إلا لمن رحمهم الله وتفضل عليهم بتطويع أنفسهم لإرادتهم في إصلاحها، ويمكن أن نحدد خاصية لهذا المفهوم القرآني، بها يمتاز عن غيره من المصطلحات كالتقوى والإيمان مثلا، هذه الخاصية هي أنها تشمل معنى التطهير وبعده النماء المتحقق فعلا كشرط للتزكية، بمعنى أنه لا يوصف بالتزكية إلا من سار أشواطا في تطهير نفسه من الرذائل، ثم تحقق بداخله الطاهر فعلا، نماءً بالخير والطاعات، ولذلك اعتبر القرآن التزكية المقصد الأسمى الذي من أجله كانت النبوة، ومن ثم أسند للنبي مباشرة قيامه بتزكية الناس عن طريق تلاوة القرآن وما أوتيه من حكمة: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 151).

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (آل عمران: 164).

ولقد اختصت آية سورة البقرة بتقديم التزكية على التعليم: ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ﴾، من باب ذكر الغاية قبل الوسيلة للتأكيد عليها كما قاله غير واحد من المفسرين، فهاهنا عناصر تتضافر كلها بغرض تحقيق التزكية، هذه العناصر هي تلاوة القرآن، وتعليم الكتاب والحكمة، وإن شئت فقل: إن النبي ﷺ بعث بالكتاب والحكمة بغرض تحقيق زكاة النفوس، فتكون التزكية هي أقصى ما يمكن أن يتحقق من طهارة في نفس المؤمن الذي يتعلم القرآن بالمنهج السليم في التلقي، ذلك المنهج الذي علمنا إياه الرسول ﷺ، حين تلقى القرآن بمنهج الافتقار إلى هداياته، وحين تلقاه وقد (ألقى السمع وهو شهيد)، وحين كان يحرك به لسانه ليعيه قلبه حرفا حرفا، ويفهمه حق الفهم، لينزله في حياته حق التنزيل حتى (كان خلقه القرآن)، وحين أخذ بأيدي الصحابة الكرام في دروب هذا المنهج القويم حتى تخرجوا على يديه فوجا أولا متوجين بحلل التزكية المادية والمعنوية، طاهرة قلوبهم من الشرك بالله تعالى، من الشرك بكل درجاته ومستوياته، حتى لم يعد في قلوبهم إلا الله، وعلى رضاه مدار حركاتهم وسكناتهم.

واستمروا في الترقي عبر درجات التزكية، يمدهم القرآن والسنة توجيها وتنزيلا، بمعالم طريقهم في الترقي.

فكانت هذه الدرجات مستويات للتزكية ساروها خطوة خطوة، خطوات تلامسها القلوب في خفاء، لا يحسها إلا من ذاق حلاوتها، مصداقا لقول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ» (أخرجه البخاري ومسلم).

ويشهد على أن التزكية مستويات، وعلى أنها تلامس القلب في خفاء، ورودها بصيغة التفضيل، وتعلقها بأعمال قَلَّ من يلتفت إليها في سلوك الناس، كما جاء في آيات كريمة منها قوله سبحانه:

– ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 232).

– ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (النور: 28).

– ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (النور: 30).

وكان نتيجة لكل ما بذله النبي ﷺ من متابعة وجهد مع الخاصة من الصحابة الكرام، أن تجلت فيهم كل الأخلاق الطيبة، تلك النتيجة التي اكتمل فيها وعبرها النموذج الذي يفترض بكل مؤمن أن يحققه في نفسه، وأن يسعى جاهدا لبلوغه، وبذلك يتم ما جاء النبي ﷺ قصدا لإتمامه عندما قال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» (مسند الإمام أحمد).

والله تعالى أعلم.

من دلالات التوجيه النبوي عند الغضب

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي ﷺ أوصني، قال: "لا تغضب" فردد مرارا، قال، "لا تغضب"(1).

تقديم:

يفيد الحديث النبوي الشريف بألفاظه ومعانيه النهي عن الغضب وسرعة الانفعال، ويتمثل ذلك بجلاء في إجابة الرسول ﷺ للرجل الذي طلب منه الوصية فأشفى غليله من خلال جوامع الكلم الذي أوتيه ﷺ فقال له: «لا تغضب»؛ لأن الغضب جماع كل شر، والابتعاد عنه مَكْمَنُ كل خير، بل إن الغضب هو الشر كله، فنهاه ﷺ عن الأسباب المؤدية للغضب، بالإضافة إلى أنه يبعث بمن اتصف به إلى ارتكاب ما لا يحمد عقباه، فيضحى الرجل يقول ما لا يعلم، ويفعل ما يؤول إلى الندم، لذا فوصية النبي ﷺ لهذا الرجل لا تخصه وحده، بل هو جواب عام لكل من يأتي بعده إلى يوم نلقاه.

فمن هذا المنطلق نتساءل: ما المراد بالغضب؟ وما هي أنواعه وأسبابه؟ وما هي أضراره وطرق علاجه؟

- الغضب لغة واصطلاحا:

الغضب لغة: الغضب: بالتحريك، ضد الرِّضا. والغَضْبة: الصَّخْرة الصَّلْبة، والغضَب اشتداد السُّخط، يقال غضِب فلان يغضَب غضَبا، وهو غضبان وغَضُوب(2).

الغضب اصطلاحا: هو غليان دم القلب بطلب الانتقام(3)، وقيل الغضب معه طمع في الوصول إلى الانتقام(4)، وعرفه الجرجاني بقوله، هو: تغير يحصل عند غليان دم القلب، ليحصل عنه التشفي للصدر(5)، إذن فالغضب هو مدخل من مداخل الشيطان يبعث بصاحبه إلى المآسي والمهالك أعاذنا الله وإياكم منه.

- أنواع الغضب:

قسمها ابن عرفة إلى محمود ومذموم. فالمذموم: ما كان في غير الحق، والمحمود: ما كان في جانب الدين الحق، وأما غضب الله فهو إنكاره على من عصاه فيعاقبه(6). وما نهى الرسول ﷺ الرجل عنه فهو من قبيل الغضب المذموم.

– بعض الأسباب المؤدية إلى إثارة الغضب:

إن الغضب خلق ذميم باعتباره مفتاحا لكثرة البلايا والشرور إذا زاد عن حده وخرج عن قصده. فمن أسبابه ما يلي:

– **الغضب لأتفه الأمور:** وهذا لا ينبغي أن يصدر عن عاقل صاحب التفكير السليم والنظر الثاقب، فهو يتعالى عن سفاسف الأمور، وبذلك يكسب مودة الناس.

– **الإعجاب بالنفس والإصرار على الانتقام:** فإن المتكبر يغضب لأمور تتعارض مع كبريائه، بل يعتبر الغضب قوة وشجاعة، وإن حاورته بكلمة حق جعل الحق باطلا وألبس الباطل لبوس الحق.

– **العصبية:** التي نهانا الرسول ﷺ عنها، وبسببها كادت الحرب أن تنشب بين الأوس والخزرج حين تشاجر رجلان، فنادى هؤلاء بالأوس، وقال الآخرون بالخزرج، لولا خروج رسول الله ﷺ إليهم وقتئذ لاقتتلوا، فوعظهم وذكَّرهم مما جعلهم ينتهون ويبتعدون عن نزغات الشيطان، فبكوا وعانق الرجال من الأوس الرجال من الخزرج، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ(7).

– **قلة الصلة بالقرآن الكريم:** يتجلى في الجهل بما أعده الله للصابرين والكاظمين الغيظ من أجر وثواب، قال تعالى: ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ (الشورى: 36). فالعفو والصفح من صميم الشريعة الإسلامية، وهما من صفات الرحمن، وقد قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ (فصلت: 33): أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم(8).

– الجهل بالنصوص الشرعية والأخلاق النبوية:

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، ففي الحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الشديد بالصُّرَعَة(9)، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»(10).

لذا فالمؤمن مطالب بكظم الغيظ وأن يكرو متصفا بالحلم ولا يعمل وفق ما يمليه عليه غضبه، بل يجعل شعاره «لا تغضب».

–أضراره: للغضب أضرار شتى منها الدينية والأخلاقية والاجتماعية:

من الواضح جدا أن الإنسان إذا كان شديد الغضب ولا يملك نفسه عند نزغات الشيطان، فإنه يصدر عنه ما ينافي أوامر الدين الإسلامي تحت تأثير الغضب، كما أن أضراره الأخلاقية بادية للعيان، بحيث يجعل صدر الحليم ضيقا، ويُفقِد العالم صوابه، فيضيع الحلم والعلم بسبب الغضب، لذلك نهى الإسلام عن أن يقضي الرجل بين اثنين وهو غضبان، فعن عبد الرحمان بن أبي بكرة، قال: كتب أبو بكرة إلى ابنه، وكان بسجستان بأن لا تقضِيَ بين اثنين وأنت غضبان، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان»(11).

وأما أضراره الاجتماعية فهي متباينة مختلفة، فالغضب سبب في زرع بذور النزاع والشقاق، فينشأ عنه قطع الصلات والعلاقات التي أمر الإسلام بإيصالها ودعانا إلى التعارف والتآلف والتعاون والتناصح، فالإنسان تحت تأثير الغضب يصدر عنه السب والشتم واللعن، بل الضرب والجرح فتضيع المودة والألفة وتسوء الأوضاع، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة من كنَّ فيه آواه الله في كنفه، وستر عليه برحمته، وأدخله في محبته» قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: «من إذا أعْطي شكر، وإذا قدر غفر، وإذا غضِبَ فتر»(12).

- بعض وسائل علاج الغضب:

لنا في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الدواء الكافي والجواب الشافي لعلاج هذا الداء منها:

● الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم: لما في الاستعاذة من الاعتصام بالله واللجوء إليه، فهذا رسول الله ﷺ كانت وصاياه تختلف باختلاف الأشخاص فيوصي كلا بما يناسبه ويحل مشاكله. عن سليمان بن صُرَدَ قال: استب رجلان عند النبي ﷺ فجعل أحدهما تحمَّر عيناه وتنتفخ أوداجه، فقال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»(13).

● اللجوء إلى الوضوء: لما للوضوء من دفع حرارة الغضب، قال رسول الله ﷺ: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»(14).

● السكوت وكظم الغيظ: فهو يدفع الغضب وما ينتج عنه، لأن الغضبان لا يميز حالة غضبه بين القول الذي قد يعود عليه بالندم، لذا كان السكوت دواء، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «علِّموا ويسروا ولا تعسروا وإذا غضب أحدكم فليسكت»(15).

ولأن الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس لهم الأجر والثواب، بل أحبهم الله وجعلهم من المحسنين، جاء عُيَيْنة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: والله ما تقول العدل، ولا تعطي الجزل، قال: فهمَّ عمر به، فقال ابن أخيه: يا أمير المؤمنين، إن الله يقول ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (الأنفال : 199). وإن هذا من الجاهلية، قال: فتركه عمر(16).

ومن الثواب الذي أعده الله للكاظمين الغيظ، ما ورد عن سهل بن معاذ عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيِّره من الحور العين ما شاء»(17).

بناء على ما سبق، نستنتج أن الشريعة الإسلامية بأصولها وفروعها دعت إلى الابتعاد عن أسباب الغضب، باعتباره مدخلا من مداخل الشيطان، وخير علاج الغضب يتمثل في التشبث بالكتاب المبين، وبسنة النبي المصطفى الأمين، فهو خير علاج وأحسن سبيل، والله هو الهادي إلى الصراط المستقيم، وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

---

1 – صحيح البخاري: باب الحذر من الغضب، ج 8، ص 28.
2 – معجم مقاييس اللغة: لا بن فارس، ج 4، ص 428، وينظر تاج العروس من جواهر القاموس: للزبيدي : ج 3، ص 485.
3 – إحياء علوم الدين: لأبي حامد الغزالي، ج 3 ص 167.
4 – تاج العروس من جواهر النفوس : لمرتضى الزبيدي، ج 3، ص 485.
5 – التعريفات: للجرجاني : ج 1، ص162.
6 – تاج العروس من جواهر النفوس : لمرتضى الزبيدي، ج 3، ص 485.
7 – السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون: لأحمد حلبي، ج 2، ص 149
8 – تفسير الطبري: ج 21، ص 471.
9 – الصُّرَعة:الذي يغلب الرجال ويصرعهم.
10 – صحيح البخاري: باب الحذر من الغضب، ج 8 ص 28.
11 – صحيح البخاري: باب هل يقضي القاضي أويفتي وهو غضبان. ج 9، ص 65
12 – المستدرك على الصحيحين: للحاكم النيسابوري، فصل: في توقير العالم، ج 6، ص 214.
13 – صحيح مسلم: باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، ج 4، ص 2015.
14 – سنن أبي داود: باب مايقال عند الغضب، ج 4، ص 249.
15 – الأدب المفرد: للبخاري، باب العفو والصفح عن الناس، ج 1 ص 95.
18 – الأنفال : الآية 199.
16 – جامع معمر بن راشد الأزدي : باب المستشار، ج 11، ص 440.
17 – سنن أبي داود: باب من كظم غيظا. ج 4، ص 248.

ذ. علي السباع

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....
العنوان الكامل :.....
.....

الاشتراك السنوي : 20 عددا
■ داخل المغرب : 60 درهم
■ خارج المغرب : 20 أورو أو ما يعادلها

ترسل الاشتراكات باسم :
● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية
● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين فاس)
رقم : 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والوصل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي :

جريدة المحجة حي عز الله، زنقة 2، رقم 3، الدكارات،
فاس – المغرب

الآراء الواردة في مقالات الجريدة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

جريدة المحجة
المدير المؤسس: ذ. المفضل فلواتي
المدير المسؤول: د. عبد العلي حجيج
مسؤول الإخراج: رشيد صدقي
الموقع الالكتروني : www.almahajjafes.net
البريد الالكتروني : almahajjafes@gmail.com
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 فاس المغرب
الهاتف : 0535931113
الناسوخ : 0535944454
الإيداع القانوني : 1994-61
رقم الصحافة : 91/11
الترقيم الدولي : 1113-3627
الطبع : إكوبرانت
التوزيع : سابريس

استهداف السنة النبوية: نظرة تاريخية

ليست قضية استهداف السنة النبوية المطهرة وليدة يوم الناس هذا، إنما هي قديمة قدم السنة نفسها، إذ لما كان الإسلام هدفا لمحاولات التشويه والتشويش منذ ظهوره، كانت سنة الرسول ﷺ جزءا من هذا الهجوم.

من أول النصوص التي تثبت صحة هذا الأمر، قول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام الترمذي في سننه: كتاب العلم، باب: ما نهي أن يقال عند حديث النبي ﷺ، رقم: 2663، وأبو داود في سننه: كتاب السنة، باب: في لزوم السنة، رقم: 4605 عن عبيد الله بن رافع عن أبيه أنه ﷺ قال: «لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه» (سنن الترمذي رقم 2663، وسنن أبي داوود رقم 4605).

وفي ذلك إعجاز نبوي بالغ بظهور فئة تزعم لنفسها الذب عن القرآن الكريم بنفي السنة المشرفة جملة وتفصيلا، جاهلة أن الكتاب والسنة لا يفرق بينهما إلا جاهل أو متنطع. وفي طليعة هؤلاء، الفرقة التي حاورها الإمام الشافعي رضي الله عنه في كتابه الأم في مطلع كتاب "جماع العلم" مستهلا حواره معها بقوله: "لم أسمع أحدا نسبه الناس، أو نسب نفسه إلى علم، يخالف في أن فرض الله عز وجل: اتباع أمر الرسول ﷺ والتسليم لحكمه... إلا فرقة سأصف قولها إن شاء الله تعالى"، مترجما لهذا الحوار بعنوان: "باب حكاية قول الطائفة التي ردت الأخبار كلها". وقد نجح رحمه الله تعالى بأسلوبه الحجاجي البليغ، وبقوة أدلته في إقناع محاوره ودفعه إلى التسليم بكون السنة المشرفة واجب اتباعها.

لكن، هل انقطع دابر هذا التيار بعد هذا الحوار العلمي الناجح للإمام الشافعي مع خصوم سنة الرسول ﷺ؟

الظاهر أن الهجوم على السنة المشرفة لم يتوقف عند الطائفة المشار إليها آنفا، حيث إن القرن الثالث الذي يعتبر عصرا ذهبيا للسنة المشرفة، الذي ألفت فيه أمهات كتب الحديث الشريف، كمسند الإمام أحمد وصحيحي الإمامين البخاري ومسلم والسنن الأربعة وغيرها من كتب السنة. ورغم كل ذلك فإن محاولات هدم السنة المشرفة لم يفتر أصحابها ولم يضعوا معاولهم أو يخلدوا إلى الأرض، اعترافا منهم بالمجهودات المتميزة التي قام بها جهابذة السنة المطهرة وصيارفة الحديث الشريف، بل استمروا في محاولاتهم اليائسة، آملين تحقيق جزء من أهدافهم ولو كان يسيرا.

إلا أن العلماء تصدوا لكل تلك المحاولات، يحذوهم في ذلك عزم أكيد على التصدي لكل من يروم الانتقاص من الوحي سواء فيما يتعلق بالكتاب أو بالسنة على حد سواء.

ومن أهم الكتب التي تذكر في هذا السياق، كتاب "تأويل مختلف الحديث" للإمام ابن قتيبة المتوفى سنة 276هـ، الذي خصصه للرد على أعداء الحديث والجواب على دعاوى التناقض والاختلاف بين الأحاديث الشريفة، كما ذكر بعض الشبه وكشف عوارها بما يشفي غليل كل ذي لب، منضبط للقواعد العلمية الموضوعية غير متبع للهوى و التشهي.

وعلى هذا سار علماؤنا الأجلاء يبذلون قصارى جهدهم في التصدي لكل محاولات الطعن في حديث رسول الله ﷺ إلى أن ألف الإمام السيوطي (911هـ) كتاب: "مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة" من أجل الرد على من زعم بأن حديث الرسول ﷺ لا يحتج به، مبينا بأسلوبه الفذ أن مثل هذه الآراء كهيأة الخلاء لا تذكر إلا عند داعي الضرورة، ولولا أن ريحها فاحت ما التفت إليها ولا اهتم بالجواب عليها.

والذي ينبغي أن يتنبه له القارئ الحصيف، بعد هذا الجرد التاريخي الموجز لما كتب في هذا الموضوع أن الهدف من الطعن في سنة الرسول ﷺ يختلف من طاعن إلى آخر بحسب الخلفيات والدوافع والمستويات العلمية كذلك.

وحسبنا في هذا المقام أن نشير إلى كون استهداف السنة المطهرة، لم يزل مستمرا، بل اشتد أواره في هذا العصر، مع شيوع وسائل الإعلام، وذيوع الوسائط السمعية البصرية، يستغل أصحابه ضعف الثقافة الشرعية لدى عموم الناس، متظاهرين بسلوكهم مسالك عقلية منطقية، لا ينالها خطأ، ليثبتوا بزعمهم غلط المحدثين وضعف منهجهم، وهي طعون وتشكاكات، لا علاقة لها بالمنهج العلمي الرصين من قريب أو بعيد، وتحتاج الأمة اليوم إلى تعزيز مكانة السنة النبوية في المقررات الدراسية والبرامج التكوينية بدءا من الأسرة إلى المدرسة فالجامعة فالإعلام، وإن من عظم سبل نصرة سنة رسول الله ﷺ تعلمها وتعليمها التخلق بها والاهتداء بتوجيهاتها في حياة المسلم والأمة على حد سواء.

ذ. إبراهيم بوستة

التقوى مناط التكريم

ذ. أحمد حسني

يقول الله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ (الإسراء: 70). ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات: 13).

إن الإنسان في رحلة الحياة الدنيا، وفي مسيرته خلال عمره القصير، يسعى للإقامة في دار الخلود -الجنة إن شاء الله- لا بد له من زاد، وهذا الزاد ليس طعاما أو شرابا أو ملبسا وليس عرضا من أعراض الدنيا، التي يستعين بها في معاشه؛ لأن تلك الأشياء لا تخدم إلا الجسد، ولا تفيد إلا في الحفاظ على صاحبها فترة وجوده في الدنيا.

أما الزاد الحقيقي الذي يصلح حال الإنسان في الدنيا، ويحقق له السعادة في الآخرة، فهو التقوى قال تعالى: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ (البقرة: 196)، والآية الكريمة قد ارتبط نزولها بفريضة الحج، والأمر فيها لحجاج بيت الله الحرام، إلا أنها تشمل كل عمل يقوم به الإنسان المسلم، وكل قصد يقصده، سواء كان ذلك في شعوره وتفكيره، أو في تصرفه وسلوكه فأهم ما ينبغي التزود به هو زاد التقوى للآخرة، التي لا ينفع فيها إلا الإيمان الصادق والعمل الصالح، ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ (الشعراء: 88-89). والتقوى هي اتخاذ الوقاية بين الإنسان، وكل ما يبعده عن الله. قال طلق بن حبيب رحمه الله عن التقوى: "أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وان تترك معصية الله، على نور من الله، تخشى عذاب الله". وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "التقوى الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل". وقد بين القرآن الكريم معنى التقوى وصفات المتقين في آيات كثيرة كقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾ (التحريم: 6)، وقوله تعالى: ﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة﴾ (الزمر: 23).

التقوى تشمل اجتناب المحظور، كما تشمل فعل المأمور، والقيام بما أوجبه الله تعالى على العبد من الطاعات، إنها مجانبة السوء، وفعل الخير، وهو المراد بتقوى الله في كثير من الآيات.

أما صفات المتقين، ومظاهر التقوى التي تكون شخصيتهم، وتوجه سلوكهم، فقد عبر القرآن عنها، بقوله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون﴾ (البقرة: 2-3)، وفي آيات أخرى يصفهم الله تعالى بأنهم: ﴿الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ (آل عمران: 134-135).

فقد جمعت الآيتان ست صفات للمتقين وهي: الإنفاق في حالتي اليسر والعسر، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، والإحسان في القول والعمل، والمسارعة إلى طلب المغفرة من الله، وعدم الإصرار على المعصية، وهم أيضا: ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾ (الذاريات: 17-19).

والمتأمل في صفات المتقين، يجد أن هذه الصفات قد جمعت كل خير، وشملت كل بر، وأنها تحتوي على الأعمال الظاهرة، والمشاعر الباطنة، سواء في ذلك ما فرضه الدين الحنيف، من واجبات، وما حث عليه من أخلاق وآداب أرشد إلى التحلي بها، وجعلها الدليل الواضح على كمال الإيمان وصدق النية.

لما نزلت الآية الكريمة: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾ (آل عمران: 102)، قال الصحابة لرسول الله ﷺ: يا رسول الله من يقوى على هذا؟ وشق عليهم ذلك، فأنزل الله: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا﴾ (التغابن: 16)، وقال ﷺ: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحوها، وخالق الناس بخلق حسن» (الترمذي).

قال أبو العتاهية:

إذا بحثت عن التقي وجدته
رجلا يصدق قوله بفعال
إذا اتقى الله امرؤ وأطاعه
فيداه بين المكارم وسعال
وعلى التقي إذا ترسم في التقى
تاجات تاج سكينة وجمال
وإذا تناسب الرجال فما أرى
نسبا كصالح الأعمال

الله تعالى تكفل برزق المتقين فقال سبحانه وتعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ (الطلاق: 2-3).

قال الشافعي رحمه الله تعالى:

عليك بتقوى الله إن كنت غافلا
يأتيك بالأرزاق من حيث لا تدري
فكيف تخاف الفقر والله رازق
فقد رزق الطير والحوت في البحر
ومن ظن أن الرزق يأتي بقوة
ما أكل العصفور شيئا مع النسر

إن كثيرا من الناس يفهمون التقوى بأنها انكسار وذل وانطواء، وهذا وهم واضح، فالتقوى وقاية من كل ما يشين العبد، التقوى عزة وفخر وإحسان وصبر وإتقان ووفاء وتواضع وسخاء، وتمتع بزينة الله تعالى التي أباحها لعباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ (الأعراف: 30).

من صفات الداعية إلى الله عزّ وجلّ

إن الدعوة إلى الله تعالى شرف جليل، وخير كثير، لا ينال وسامها إلا ذو حظ عظيم، فصاحبها يقوم بأفضل المهام على الإطلاق، وقد نص على ذلك الحق سبحانه في قرآنه العظيم فقال: ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾ (فصلت: 32). فبنص القرآن لا يوجد أفضل وأحسن ممن دعا إلى الرحمن، وكيف لا وهو يعرف الناس بالله.

ولما كانت للدعوة هذه المكانة السامية الرفيعة، كان لابد لصاحبها أن يتصف بمجموعة من الصفات حتى يكون من أهلها، وحتى يفوز بأجرها وخيرها الذي أعده الله تعالى للداعي إليه.

ومن هذه الصفات التي وجب على الداعية أن يتحقق منها بتزكيتها وتنميتها إن وجدت، وبإقامتها إن انعدمت ما يلي:

أولا: الإخلاص:

ننطلق في بيان هذا المعنى العظيم الذي يجب على الداعي إلى الله ﷻ أن يتحقق منه أشد التحقق من حديث رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» (صحيح البخاري). فإن كانت الدعوة إلى الله يثاب عليها صاحبها، وتعطى بفضل الله أكلها وثمارها؛ لأن الكلمات تخرج صافية نقية كالعسل المصفى، فالداعي لا يدعو الناس لحزبه، ولا لجماعته، ولا لمؤسسته، وإنما يدعو لله الواحد الأحد الفرد الصمد. يقول سبحانه: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله﴾ (يوسف: 108)، وقال تعالى: ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله﴾ (فصلت: 32).

فالداعي يدعو لله وحده دون سواه، فإن كان هذا سبيله، تشرق بفضل الله دعوته وأزهرت وأنبتت الكلأ والعشب الكثير.

ثانيا: مخاطبة الناس باللين

لما أرسل الله سيدنا موسى عليه السلام إلى من ادعى الألوهية وطغى وتجبر وعاث في الأرض فسادا، وقتل الأطفال، واستباح الأعراض، قال الله ﷻ لموسى عليه السلام: ﴿فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾ (طه: 43).

فالله ﷻ هو العليم الخبير بأحوال عباده، وما يصلح لهم، فلم يقل له سبحانه قولا له قولا قاسيا، بل لينا؛ لأنه بهذا الخطاب اللين قد يتذكر أو يخشى.

ولذلك مهما عظم بعد الناس عن منهج الله ينبغي لك أيها الداعي مخاطبتهم باللين والرفق، وتحبيبهم في خالقهم، لأن خطاب القسوة والتنفير لا ينتج أكلا ولا يعطي ثمارا.

تدبر في قول الله ﷻ لسيدنا محمد ﷺ: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ (آل عمران: 159).

فإذا كان الداعي إلى الله غليظ القلب سينفر المدعوون من خطابه، ويشمئزون من كلامه، عوض أن يرتاحوا بلينه.

ثالثا: الموازنة بين التبشير والإنذار

من الحكمة التي ينبغي للداعية أن يتصف بها الموازنة بين البشارة والإنذار، "والبشارة هي الإخبار بالمحبوب، والإنذار هي الإخبار بالمكروه" (أحكام القرآن لابن العربي، ج: 1، ص: 25).

فالداعية يَخْبَرُ حال المدعوين، ويعرف الخطاب الأليق بحالهم، إن اقتضوا بشارة بشرهم، وإن اقتضى حالهم تنذيرا أنذرهم.

تدبر أيها الداعي خطاب ربنا لرسوله ﷺ: ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر﴾ (المدثر: 1-2)، فلم يخاطبه بقوله: قم فبشر؛ لأن حالهم يقتضي نذارة لا بشارة.

والداعي إلى الله إذا رأى الناس متمسكين بحبل الله، مقيمين شرع الله، مسارعين إلى الخيرات، تاركين للمعاصي والسيئات، فالحال هذا يقتضي بشارة ليزدادوا إقبالا على رب الأرض والسماوات.

رابعا: التواضع وعدم الترفع على المدعويين

الداعي إلى الله لا ينبغي له أن يعتقد أنه أفضل من مدعوييه بدعوته، بل عليه أن يتواضع وألا يترفع؛ لأن الترفع والعجب وازدراء الناس سلوك شنيع يظهر أثره في الخطاب ويشعر المدعو بذلك، فلا يكون لكلامه حينئذ أثر في القلوب، وإنما تشمئز لكلامه الأفئدة.

قال رسول الله ﷺ: «من تواضع لله رفعه الله» (صحيح البخاري). فإذا تواضع الداعي إلى الله في دعوته رفعه الله في عيون مدعوييه، وألقى القبول في قلوب مستمعيه.

فالداعي الحكيم هو من تحقق من نفسه قبل الدعوة، فخلص النفس من أدرانها وأوساخها ودخنها، حتى تكون دعوته خالصة صافية لا تشوبها شائبة ولا يخالطها عجب ولا تعال.

خامسا: العلم بالمسألة التي يدعو لها

من الأمور التي يجب على الداعية أن ينتبه إليها أن يكون على علم وبصيرة بالمسألة التي يدعوا الناس إليها. وجاء التعبير هاهنا بالمسألة لأنه لا يشترط معرفة أحكام ومسائل الشريعة بالجملة والتفصيل حتى يقوم الداعي للدعوة، لأن رسول الله ﷺ قال: «بلغوا عني ولو ءاية» (صحيح البخاري). وإنما الشرط الأساس أن يكون على بصيرة وعلم وإتقان إلى المسألة بعينها التي يدعو إليها، ولذلك قال سبحانه: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ (يوسف: 108).

فالداعي يدعو على بصيرة ونور حتى لا يَضل ويُضِل.

سادسا: معرفة واقع الناس

والمقصود بهذه المسألة أن الداعي إلى الله حكيم في كلامه، يعرف ما يحتاجه الناس أو ما يعبر عنه ب: "واجب الوقت"، فإن رأى اعوجاجا قومه، أو انحرافا أصلحه، فهو خبير بواقع الناس وأحوالهم. فيخاطب الناس خطابا يمس أحوالهم وانحرافاتهم حتى يشعر المدعو في خاصة نفسه أن الخطاب يمسه ويمس انحرافه..

فلا يكون قصد الداعي أن يلقي كلماته وكفى، بل لابد أن يخطط ويهيئ ويشخص الداء بدقة ثم يضع الدواء بحكمة.

سابعا: الداعي إلى الله يُؤثر ولا يَتأثر

إن الداعي قد ينزل ببيئة يعمها الفساد والمنكر، فإن لم يكن مجاهدا نفسه بالقرآن، متشبثا بحقائقه، مستبصرا ببصائره، مستنيرا بأنواره، فإنه قد يركن إلى فسادهم وقد جاء لإصلاح حالهم، فلابد له أن يتحصن بحصن القرآن، ويجاهد به.

فهو إذن يؤثر بدعوته، يؤثر بحاله، يؤثر بمقاله، ولا يتأثر بفساد مجتمعه. وله في رسول الله الأسوة الحسنة الذي دعا مجتمعا يملأه الفساد وتعمه المنكرات، لكنه عليه الصلاة والسلام أثر ولم يتأثر، وكذلك صحبه الكرام ومن جاء بعدهم من التابعين ومن سار على نهجهم من العلماء الربانيين الراسخين في العلم.

وقد أجاد أحد الحكماء حين قال: "الداعي إلى الله يرفع مدعوييه إلى مستوى الشرع، ولا ينزل بالشرع إلى مستوى مدعوييه".

ثامنا: تنوع أساليب الخطاب

الداعي إلى الله حكيم في خطابه، لا يلقي خطابا جافا باردا، وإنما يلقي خطابا فيه روح وحياة، حتى يشد سمع المدعو إليه، فينوع خطابه ما بين آية قرآنية، أو سيرة نبوية، أو قصة معبرة، أو طرفة مفرحة... وهذا النوع من الخطاب هو الذي يجعل المدعو يتجاوب مع الداعي ويُشد إليه، وهذا منهج القرآن وسنة النبي العدنان.

تاسعا: الداعي إلى الله يدعو إلى الله بحاله قبل مقاله

وبيانها أن الداعية يعظ الناس بفعله قبل قوله، فلا ينهى عن منكر ويأتيه، وإنما تظهر دعوته على حاله وسلوكه، فإن دعا إلى الصدق يكون من الصادقين، وإن دعا إلى التواضع يكرن من المتواضعين، وإن دعا إلى العدل يكون من العادلين، وإن دعا إلى الصبر يكون من الصابرين، وإن دعا إلى كل بر يكون أول المطبقين، وإن نهى عن سوء أو منكر يكون أول المجتنبين. فإن كان هذا حاله استجاب له المدعوون، أما إن فسد حاله وسلوكه وصلح مقاله، فهذا لا قيمة لكلامه ولا أثر له في الناس.

قال الله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ (الصف: 2-3). فالله يمقت الذي يقول ولا يفعل، ومن مقته الله مقته الناس.

فالداعية الحكيم يسارع إلى التطبيق ثم يدعو الناس إلى ما طبق، وتأمل أيها الداعي في سيرة رسول الله ﷺ عندما أمر صحبه الكرام أن يحلقوا فلم يفعلوا، لكنه لما بادر ﷺ إلى الحلق ورأوه نحروا وجعل بعضهم يحلق لبعض.

فالدعوة بالحال أبلغ من المقال.

عاشرا: ابتغاء الأجر والثواب من الله وحده دون سواه

الداعي إلى الله يقوم بمهمة غالية ثمينة، كيف لا وهو يدل الناس على الله، فهو إذن يتعامل مع الله، ويطلب الأجر منه وحده دون سواه، وقد قال الحق سبحانه مخاطبا نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين﴾ (الأنعام: 91).

فالداعية لا يريد جزاء ولا شكورا ولا ثناء من أحد، وإنما يطلب الثواب من الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، وهذا الباعث الذي ينبعث في نفسه -ابتغاء الأجر من الله- هو الذي يعطيه طاقة إيمانية على الاستمرار في دعوته ويقويه إن ضعفت نفسه، كما يجعل الداعية يبذل الغالي والنفيس في سبيل تعريف الناس بالله. أما إذا غاب هذا الباعث فإن الداعية يضعف الداعية ويستكين وينام ويتقاعس ويتكاسل.

أحد عشر: الداعي إلى الله لا يتعلق بهداية القلوب فأمرها لعلام الغيوب

وبيانها أن الداعية يجتهد ويجاهد نفسه ليبين للناس الصراط المستقيم، ويدلهم على أمر الله سبحانه، وهذه هي وظيفته ومهمته التي قال عنها سبحانه: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ (الشورى: 49). فهو يهدي هداية توجيه وإرشاد وكفى، أما هداية القلوب فأمرها لله وحده، وهي ما قال عنها سبحانه: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾ (القصص: 56).

فشأن الداعية شأن الفلاح الذي يحرث الأرض ويغرس البذور ويقوم بكل الأسباب، أما الإنبات فمن الله وحده، فكذلك حال الداعية يقوم بالدعوة على الوجه الذي أمره الله به أما الهداية فأمرها بيد الله.

فهذه جملة من الصفات التي يجب على الداعية التحقق والتخلق بها، وبها تقوم الدعوة وينجح الداعية، والله الموفق لكل خير وهو يهدي السبيل، قال سبحانه: ﴿إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا﴾ (الأنفال: 71).

أحميد حمزة

إشراقة

ذ. عبد الحميد صدوق

كراهة المدح في الوجه لمن خيف عليه مفسدة من إعجاب ونحوه وجوازه لمن أمن ذلك في حقه

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلا يثني على رجل ويطريه في المدحة، فقال «أهلكتم، أو قطعتم ظهر الرجل» (متفق عليه). و"الإطراء": المبالغة في المدح.

قوله: في "المدحة" هي بكسر الميم، وقال عمر رضي الله عنه: "المدح هو الذبح" قال ابن بطال رحمه الله تعالى: معنى النهي أن يفرط في مدح الرجل بما ليس فيه، فيدخل من ذلك الإعجاب، ويظن أنه في الحقيقة بتلك المنزلة، ولذلك قال: "قطعتم ظهر الرجل" حين وصفتموه بما ليس فيه، وفيه أن من رفع امرأ فوق حده وتجاوز به مقداره بما ليس فيه، فمعتد آثم. اهـ

وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رجلا ذكر عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيرا، فقال النبي ﷺ: «ويحك قطعت عنق حبك» يقوله مرارا «إن كان أحدكم مادحا لا محالة، فليقل: أحسب كذا وكذا إن يرى أنه كذلك، وحسيبه الله، ولا يزكى على الله أحد» (متفق عليه).

قوله: «ويحك» هي كلمة رحمة وتوجع، وويل كلمة عذاب. قوله: «والله حسيبه» بفتح أوله وكسر ثانيه، أي: كافيهُ، ويحتمل أن يكون هنا فعيل من الحساب أي محاسبهُ على عمله الذي يعلم حقيقته «ولا يزكى على الله أحد» أي لا أقطع على عاقبة أحد، ولا على ما في ضميره لكون ذالك مغيبا عنه، وجيء بذلك بلفظ الخبر ومعناه النهي أي لا تزكوا أحدا على الله لأنه أعلم بكم منكم. (الفتح ج 13، ص: 585).

وعن همام بن الحارث، عن المقداد رضي الله عنه أن رجلا جعل يمدح عثمان رضي الله عنه، فعمد المقداد، فجثا على ركبتيه، فجعل يحثو في وجهه الحصباء، فقال له عثمان: ما شأنك؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم المداحين، فاحثوا في وجوههم التراب» (رواه مسلم).

قال العلماء: المراد به المداحون الناس في وجوههم بالباطل وبما ليس فيهم.

وقال البيضاوي: المراد بحثو التراب في وجه المادح إعطاؤه ما طلب لأن كل الذي فوق التراب تراب.

وقيل: إذا مدحتم فاذكروا أنكم تراب فتواضعوا، ولا تعجبوا.

ولكن من وقف على حقيقة نفسه، وأشفق من تقصيره، لا يضره الإطراء والمدح، قال ابن عيينة رضي الله عنه: من عرف نفسه لم يضره المدح. ولهذا جاء من سنة السلف أن الرجل إذا مدح في وجهه يقول: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيرا مما يظنون. وقيل: إذا كان يحصل بذالك مصلحة كنشاطه في الخير، والازدياد منه، أو الدوام عليه، أو الاقتداء به كان مستحبا والله أعلم.

قال الشيخ النووي رضي الله عنه: فهذه الأحاديث في النهي، وجاء في الإباحة أحاديث كثيرة صحيحة، قال العلماء: وطريق الجمع بين الأحاديث أن يقال: إن كان في الممدوح كمال إيمان ويقين، ورياضة نفس، ومعرفة تامة بحيث لا يفتتن، ولا يغتر بذلك، ولا تلعب به نفسه، فليس بحرام ولا مكروه، وإن خيف عليه شيء من هذه الأمور مدحه في وجهه كراهة شديدة، وعلى هذا التفصيل تنزل الأحاديث المختلفة في ذلك.

الأدلة والاجتهاد عند الأصوليين: العلاقات والآثار

بعد نشر المقالين السابقين؛ اللذين ارتبط الأول منهما ببيان أوجه الاتصال بين الأدلة والأحكام عند الأصوليين وصلتها بالتعلم. فيما أبرز الثاني صلات الأدلة بالدلالة عند الأصوليين وأثرها في بناء التعلمات، فإن هذا الجديد سيعرض فيه الكاتب علاقة الأدلة بالاجتهاد مع بيان أهميتها في التعليم والتعلم.

وإلى القارئ الفاضل البيان بعد الإجمال:

إذا كان الأصوليون يعرفون الدليل على أنه هو الذي «...يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري»(1).

والاجتهاد على أنه: « بذل الوسع في نيل حكم شرعي عملي بطريق الاستنباط»(2).

فإن العلاقة بينهما تظهر من جهتين: جهة يكون فيها الدليل حاكما للمجتهد في عملية الاستنباط؛ بحيث يكون هو الموجه له. وجهة يكون فيها المجتهد مشتغلا على نفس الدليل من أجل الاستنباط؛ ذلك أن المستثمر -أي المجتهد- لابد أن يستند إلى دليل في عملية الاجتهاد ولا يمكنه أن يستغني عنه، إذ الدليل هو مرشده إلى الصواب، وهو مستنده في إثبات القضية أو نفيها، ولا حكم له على قضية من القضايا إلا بالاستناد إلى دليل من الأدلة «وأما مبحث الاجتهاد والتقليد فهو إلحاق يبين موقف المكلفين حيال مباحث أصول الفقه أدلة ودلالات، فمن استحوذ عليها كان مجتهدا، وإلا كان مقلدا...»(3).

ونحن في تدريس الأدلة هنا نعلم الطالب أن يتمرن على قضية ربط الدليل بأي قضية استدل بها كيف ما كانت في حياته اليومية كلها.

والغرض من ذلك؛ تعليمه أن لا يتكلم إلا عن دليل متأكد من صحته يقينا، وأن لا يتسرع في الحكم على الأشياء قبل معرفة مستندها.

فالمجتهد يقاس بمدى تمكنه من الدليل الشرعي، ومدى معرفته باستخراج الأحكام الشرعية منه، وكذا بمعرفة مراتب دلالته وضوحا وخفاء، حتى ينزله منزلة صحيحة واضحة صالحة لزمانه ومكانه وعصره.

ولا يقاس المجتهد بمدى ترداده للمتون وحفظ المجلدات والكتب.

إنما المجتهد من اقتدر على أن يحسن الفهم والاستنباط والتوظيف والتنزيل، ومن حصل هذا؛ كان لما سواه أضبط، وعلى غيره أقدر؛ لأنه ملك مداخل العلم ومناهجه وكيفه، بدل أن يملك أطنانه وكمه وتفاصيله؛ لأن تناول العلم بالمنهج يوفر على صاحبه الوقت والجهد الموظفين، ويقصر عليه التعامل مع تفاصيل العلم حتى لا يتيه بين شعبه الكثيرة.

في حين؛ أن الذي يتعامل مع العلم بالمعرفة الكمية ولا يوظفها بالمنهج، يتيه به الحال في الفن الواحد بين التفاصيل، فيسد في عقله طريق الفهم الصحيح، وتختلط عليه مسائل العلم الكثيرة، فيضيع جهده ووقته، وقد لا يصل الباحث في هذا الحال إلى أي نتيجة تسعده بعد عناء طويل.

والغرض من هذا البيان في هذا المقام؛ هو معرفة مدى أهمية الدليل في العملية الاجتهادية، فالذي يؤصل بعد نظر في الدليل، ليس هو من يفعل ذلك ارتجالا، فالأول أضبط وألصق بالمنهج العلمي الرزين، وأما الثاني فإنه يتكلم بغير وجه معتبر لغة وشرعا.

ذلك أن الخلفية التي تحكم المجتهد في عملية الاجتهاد هي الدليل؛ لأنه منه ينطلق وإليه يعود، فلا محيد له عنه، وإلا كان اجتهاده خاطئا، فضل بنفسه وأضل معه الناس، وهذه هي المعضلة الكبرى؛ لأن الله يعبد عن علم وليس عن جهل.

وما دام الأمر كذلك، فإن الله سبحانه لم يترك الإنسان بدون دليل يدله، أو مرشد يرشده، بل أرسل إليه الرسل بالبراهين والحجج، حتى لا يكون لهذا الإنسان حجة على الله؛ لأن الحق أقام الحجة عليك بالدليل، فيجب عليك أنت أيها الإنسان أن تقيم الاجتهاد بالدليل؛ لتنقذ نفسك وتنقذ معك على الأقل بعضا من الخلق الذين وصلهم اجتهادك، والله الموفق وهو يهدي السبيل.

والله المستعان، ولا تنسونا من صالح دعائكم والسلام عليكم.

---

1 – الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (ت: 631هـ)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، دار المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان، ج:1، ص:9.

2 – البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي(ت 794هـ)، دار الكتبي، ط: الأولى، 1414هـ – 1994م، ج:8، ص:227.

3 – غمرات الأصول مشاري بن سعد بن عبد الله الشثري، ص:28.

المصطفى خرشيش

نصوص الإعجاز القرآني (4)

تعنى هذه الزاوية بجمع ما تناثر من نصوص الإعجاز القرآني في غير مصادره المتخصصة، وما تناثر في هذه المصادر لكن لغير مؤلفيها، كما تعنى بتصنيفها حسب تاريخ وفاة أصحابها، وذلك خدمة لمكتبة هذا العلم، وفتحا لآفاق جديدة للبحث فيه، ومحاولة لإقامة (الموسوعة التاريخية لنصوص الإعجاز القرآني في التراث العربي).

(تتمة نصوص الجاحظ (ت255هـ))

(9)

«ولو لم يكن النبي ﷺ تحداهم بالنَّظَر والتأليف، ولم يكن أيضاً أزاح علّتهم، حتى قال تعالى: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ (هود: 13) وعارضُوني بالكذب، لقد كان في تفصيله له وتركيبه، وتقديمه لَه واحتجاجه، ما يدعو إلى معارضته ومغالبته وطلب مساويه.

ولو لم يكن تحدّاهم من كل ما قلنا، وقرَّعهم بالعجز عما وصفنا – وهل هذا إلا بمديحه له، وإكثاره فيه – لكان ذلك سبباً موجباً لمعارضته ومُغالبته وطلب تكذيبه، إذ كان كلامُهم هو سيدُ عملهم، والمئونة فيه أخف عليهم، وقد بَذَلوا النفوس والأموال.

وكيف ضاع منهم، وسَقَط على جماعتهم نيفاً وعشرين سنة، مع كَثْرة عددهم، وشدَّة عقولهم، واجتماع كلمتهم؟ !

وهذا أمر جليل الرأي، ظاهر التدبير.

فصل منه في ذكر امتناعهم من معارضة القرآن لعلمهم بعجزهم عنها

والذي مَنعهم من ذلك هو الذي منع ابن أبي العَوْجاء، وإسحاق بن طالوت، والنعمان بن المنذر، وأشباههم من الأرجاس، الذين استبدلوا بالعز ذُلاً، وبالإيمان كفراً، والسعادة شقوة، وبالحجة شبهة.

بل لا شُبهة في الزندقة خاصة. فقد كانوا يَصنعون الآثار، ويولِّدون الأخبار، ويبثونها في الأمصار، ويَطعنون في القرآن، ويسألون عن مُتشابهه، وعن خاصه وعامه، ويضعون الكتبَ على أهله. وليس شيء مما ذكرنا يستطيع دَفعه جاهل غبي، ولا معاند ذكي».

[حجج النبوة، رسائل الجاحظ، 3/277-278]

(10)

«ولما كان أعجب الأمور عند قوم فرعونَ السحر، ولم يكن أصحابُه قط في زمان أشد استحكاماً فيه منهم في زمانه، بعث الله موسى عليه السلام على إبطاله وتَوهينه، وكشف ضعفه وإظهاره، ونقض أصله لِردع الأغبياء من القوم، ولمن نشأ على ذلك من السفلة والطَّغام. لأنه لو كان أتاهم بكل شيء، ولم يأتهم بمعارضة السحر حتى يفصل بين الحجة والحيلة، لكانت نفوسهم إلى ذلك متطلّعة، ولاعتل به أصحاب الأشغاب، ولشغلوا به بالَ الضعيف، ولكنّ الله ﷻ، أراد حسم الداء، وقطْع المادة، وأن لا يجدَ المُبطلون متعلقا، ولا إلى اختداع الضعفاء سبيلاً، مع ما أعطى الله موسى عليه السلام من سائر البرهانات، وضروب العلامات.

وكذلك زمن عيسى عليه السلام كان الأغلب على أهله، وعلى خاصة علمائه الطب، وكانت عوامُّهم تعظّم على ذلك خواصَّهم، فأرسَله الله ﷻ بإحياء الموتى، إذ كانت غايتهم علاجَ المرضى، وأبرأ لهم الأكمه إذ كانت غايتهم علاج الرَّمد، مع ما أعطاه الله ﷻ من سائر العلامات، وضروب الآيَات؛ لأن الخاصة إذا بَخَعت بالطاعة، وقهرتها الحجّة، وعرفت موضعَ العجز والقوة، وفصلَ ما بيْن الآية والحيلة، كان أنجعَ للعامة، وأجدر أن لا يبقى في أنفسهم بقيّة.

وكذلك دهر محمدٍ ﷺ، كان أغلبُ الأمور عليهم، وأحسنُها عندهم، وأجلُّها في صدورهم، حُسْنَ البيان، ونظْمَ ضروب الكلام، مع علمهم له، وانفرادهم به. فحين استحكمت لفهمهم وشاعت البلاغةُ فيهم، وكثُر شعراؤهم، وفاقَ الناسَ خطباؤهم، بعثَه الله ﷻ، فتحدّاهم بما كانوا لا يشكّون أنهم يقدرون على أكثَرَ منه.

فلم يزل يقرِّعهم بعجزهم، وينتقِصُهم على نقْصهم، حتى تبيّن ذلك لضعفائهم وعوامِّهم، كما تبيَّن لأقويائهم وخواصِّهم. وكان ذلك من أعجب ما أتاه اللهُ نبياً قط، مع سائر ما جاءَ به من الآيات، ومن ضروب البُرهانات.

ولكل شيءٍ بابٌ ومأتىً، واختصارٌ وتقريب. فمن أحكم الحكمة إرسالُ كل نبي بما يُفحمُ أعجبَ الأمور عندهم، ويُبْطل أقوى الأشياء في ظنهم».

[حجج النبوة، رسائل الجاحظ، 3/278-280]

(11)

«... ورأينا اللّه تبارك وتعالى، إذا خاطب العربَ والأَعْرَابَ، أخرجَ الكلامَ مُخْرَجَ الإشارة والوحي والحذف، وإذا خَاطَبَ بني إسرائيل أو حكَى عنهم، جعلَه مبسوطاً، وزاد في الكلام».

[الحيوان، 1/94]

(12)

«ولي كتابٌ جَمَعْتُ فيه آياً من القرآن؛ لتَعرفَ بها فصل ما بينَ الإيجاز والحَذْف، وبين الزّوائد والفُضول والاستعارات، فإذا قرأْتها رأيت فضلها في الإيجاز والجَمْع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة على الذي كتبتُهُ لك في بَاب الإيجاز وترك الفضول.

فمنها قولُه حَينَ وصفَ خمرَ أهلِ الجنّة: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ (الواقعة: 19). وهاتان الكلمتان قد جَمَعتا جميعَ عُيوب خمر أهل الدُّنيا.

وقولُه ﷻ حينَ ذكر فاكهةَ أهلَ الجَنّة فقال: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ (الواقعة: 33). جمع بهاتين الكلمتين جميعَ تلك المعاني.

وهذا كثيرٌ قد دَللتك عليه، فإنْ أردته فموضعه مشهور».

[الحيوان، 3/86]

(13)

«قال قوم: قد علمنا أن الشياطينَ ألطفُ لطافة، وأقلُّ آفة، وأحدُّ أذهانا، وأقلُّ فضولا، وأخفُّ أبدانا، وأكثرُ معرفة، وأدقّ فطنة منّا...

وأنتم تزعمون أنّ الشّياطين الذين هم على هذه الصّفة كلّما صعد منهم شيطان ليسترقِ السّمع قُذف بشهاب نار... ومتى كانت فقد ظهر للشيطان إحراق المستمع والمسترق، والموانع دون الوصول ثمّ لا نرى الأوّلَ ينهى الثّاني، ولا الثّاني ينهى الثّالث... في هذا الدهر الطويل. وإن كان الذي يعود غيرَه فكيف خفي عليه شأنهم، وهو ظاهر مكشوف؟!...

قيل لهم: فإنّا نقول بالصّرْفة في عامّة هذه الأصول، وفي هذه الأبواب، كنحو ما أُلقي على قلوب بني إسرائيل وهم يجُولون في التِّيه، وهم في العدد وفي كثرة الأدلاّء والتجّار وأصحاب الأسفار، والحمّارين والمُكارينَ، من الكثْرَة على ما قد سمعتم به وعرَفْتموه؛ وهم مع هذا يمشُون حتّى يُصبحوا، مع شدّة الاجتهاد في الدَّهر الطويل، ومع قُرْبِ ما بينَ طرفي التِّيه. وقد كان طريقاً مسلوكاً. وإنّما سمّوه التّيه حين تاهوا فيه، لأنَّ الله تعالى حين أرادَ أن يمتحنَهم ويبتليهم صرَف أوهامَهم.

ومثل ذلك صَنيعُه في أوهام الأمة التي كان سُليمان مَلَكها ونبيّها، مع تسخير الريح والأعاجيب التي أُعطيَها، وليس بينهم وبين ملكهم ومملكتهم وبين مُلك سَبأ ومملكة بلقيس ملكتهم بحارٌ لا تُركب، وجبالٌ لا تُرام، ولم يتسامَعْ أهل المملكتين ولا كان في ذكرهم مكانُ هذه الملكة.

وقد قلنا في باب القول في الهُدهُد ما قلنا، حين ذكرنا الصَّرْفة، وذكرنا حالَ يعقوب ويوسف وحالَ سليمان وهو معتمدٌ على عصاه، وهو مَيِّتٌ والجِنُّ مُطيفة به وهم لا يشعُرون بموته، وذكرنا من صَرْف أوهام العرَب عن محُاولة معارضة القرآن، ولم يأتوا به مضطرباً ولا مُلَفَّقاً ولا مُستكرَهاً؛ إذا كان في ذلك لأهل الشَّغب متعَلّق، مع غير ذلك، ممّا يُخالَف فيه طريقُ الدّهريّة، لأنّ الدّهريّ لا يُقر إلا بالمحسوسات والعادات، على خلاف هذا المذهب...

وكذلك نقول ونزعم أن أوهَام هذه العفاريت تُصرف عن الذكر لتقع المحنة، وكذلك نقول في النبي ﷺ أنْ لو كانَ في جميع تلك الهزاهز مَنْ يذكر قوله تعالى: ﴿واللّه يَعصِمُكَ من النّاس﴾ (المائدة: 67) لسَقَط عنه من المحنة أغلظُها. وإذا سقطت المحنة لم تكن الطاعة والمعصية. وكذلك عظيم الطاعة مقرونٌ بعظيم الثّواب».

[الحيوان، 6/265-270]

د. الحسين زروق

إعجاز التشريعات الإسلامية في بناء المجتمع المثالي (10\2)

د. أحمد زايد

في المقال السابق بيَّنا طرفاً من الإعجاز التشريعي في بناء المجتمع المثالي، بذكر بعض آثار عقد الرهن، وكيف تسهم تلك الآثار في بناء الطمأنينة والاستيثاق للحقوق، وتيسير قضاء حوائج الناس، وحفظ ماء وجوههم، وفي المقال هذا نُضيف بعدًا آخر وطرفا جديدا من هذا الإعجاز الرباني في بناء المجتمع الإسلامي الصالح، وذلك من خلال وقفة مع باب الصلح أو عقد الصلح في الفقه الإسلامي.

الصلح وقاية وعلاج:

عقد الصلح معدود من العقود اللازمة، وقد شرع هذا العقد لقطع النزاع بين الناس، ويعمل على جانبين؛ جانب وقائي وهو: دفع المنازعات قبل وقوعها، وجانب علاجي وهو: رفع النزاع بعد حصوله، وهو الأكثر.

الأصل الشرعي للصلح:

من حكمة الله البالغة أنه وضع كل وسائل حماية المجتمع الإسلامي الذي أراده، ورسخ كافة عوامل استقراره وأمنه، وهنا نجد أنه سبحانه يأمر بالصلح تارة، ويمدحه ويجزل الأجر لفاعليه تارة أخرى، متى قصدوا بذلك مرضاته تعالى، وتارة يأمر به ويحث عليه، ففي الأمر به بين المسلمين يقول تعالى: ﴿وأصلحوا بين أخويكم﴾ (الحجرات :10). وفي مدحه قال تعالى: ﴿والصلح خير﴾ (النساء: 128)، وفي بيان ثواب فاعليه بإخلاص جاء قوله تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾ (النساء: 114). قال القرطبي: "أو إصلاح بين الناس عام في الدماء والأموال والأعراض، وفي كل شيء يقع التداعي والاختلاف فيه بين المسلمين"، وقال ابن عاشور معلقا على قوله تعالى: ﴿ومن يفعل ذلك ...إلخ﴾: "وعد بالثواب على فعل المذكورات إذا كان لابتغاء مرضاة الله. فدلّ على أنّ كونها خيراً وصف ثابت لها لما فيها من المنافع، ولأنّها مأمور بها في الشرع، إلاّ أنّ الثواب لا يحصل إلاّ عن فعلها ابتغاء مرضاة الله".

دوائر الصلح وتأمين المجتمع الإسلامي خارجيا وداخليا:

المجتمع المثالي هو المجتمع المستقر داخليا، الآمن المرهوب الجانب خارجيا، الذي يتمتع بقدر من الأمان العام يدفعه إلى التنمية والإنتاج والانطلاق لتحقيق رسالته والتقدم نحو غايته، ولا يمكن أن يتحقق ذلك في ظل أجواء يسودها الخوف والاضطراب، ويسيطر عليها الخصام والنزاع، ولتحقيق هذا القدر من الأمن المنشود الذي هو عماد الاستقرار شرع الإسلام الصلح كأحد أدوات الاستقرار الفردي والجماعي، ولم يقصر صورته أو مساحته بين أبناء المجتمع الواحد؛ وإنما امتدت مساحته في الإسلام حتى يكون مطلوبا بين الجماعات داخل المجتمع الواحد، وكذلك بين المسلمين وغيرهم عند نشوب الاختلافات والنزاعات. جاء في "مغني المحتاج" للشربيني الخطيب الشافعي في بيان أنواعه قوله: "وهو أنواع: صلح بين المسلمين والكفار، وبين الإمام والبغاة، وبين الزوجين عند الشقاق، وصلح في المعاملة" (177/2).

وهذا النص الفقهي يرسم لنا دوائر وقوع الصلح فتمتد لتشمل كافة الدوائر الصغيرة والكبيرة، وهي:

1 - **دائرة الخارج:** بحيث يقطع الصلح النزاع القائم بين الأمة المسلمة وبين أعدائها وخصومها تأمينا للأمة من جانب الخصوم.

2 - **دائرة النزاع السياسي داخل المجتمع المسلم**، بقطع النزاع القائم بين من بغى ومن بُغي عليه من أبنائه، بحيث يلتئم جسم المجتمع ويتفرغ للبناء والدعوة.

3 - **دائرة البيت والأسرة بين الزوجين**، بحيث يحفظ على الأسرة أمنها الاجتماعي وكرامتها الإنسانية.

4 - **الدوائر الفردية** في الخلافات المالية وغيرها.

وبتحقق الصلح في هذه الدوائر جميعا يَسُدُّ المسلمون ثغرات خطيرة من شأنها أن تعصف بمقدرات مجتمعاتهم، وتهدم بنيانها المادي والمعنوي. فعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟» قالوا: بلى. قال: «إصلاح ذات البين». قال: «وفساد ذات البين هي الحالقة» (رواه أبو داود والترمذي).

وحماية المجتمع الإسلامي بالصلح والمصالحة ناتجة عن كون الصلح خيرا، قال ابن عطية: "وقوله تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ لفظ عام مطلق بمقتضى أن الصلح الحقيقي الذي تسكن إليه النفوس ويزول به الخلاف خير على الإطلاق، ويندرج تحت هذا العموم أن صلح الزوجين على ما ذكرنا خير من الفرقة". فهو خير للفرد وللأسرة وللمجتمع، وخير لكل الأطراف الخارجية والداخلية، والشر إنما هو في حصول الشقاق والخلاف والعداوات.

الصلح قبل القضاء:

ليس الصلح كالقضاء في طبيعته وآثاره، فالقضاء وإن كانت عند أحكامه مقاطع الحقوق، إلا أنه غالبا لا يقطع النزاع أو على الأقل لا يُذهب أحقاد النفوس، ولا يمنع ضغائنها لخلوه في صورته النهائية من عنصر الرضا والتراضي، أما الصلح فشأنه مختلف حيث يسوده غالبا التراضي والتنازل والعفو، لذا فإن الخصومة بين الأطراف والتقاضي حولها لا يتجدد غالبا، بخلاف التقاضي، لذا قرر الفقهاء أنه يحسن بالقاضي ترك القضاء والتحول إلى الصلح في بعض الأحوال، وبخاصة فيما بين القرابات وكبار القوم ووجهائهم، وكل ما يغلب على الظن فيه أن القضاء قد يفضي إلى مفاسد أعظم مما سيحسمه، ولذا كان عمر ﷺ بواسع فقهه وبصيرته الإيمانية يقول: "ردوا الخصوم حتى يصطلحوا، فإن فصل القضاء يورث الضغائن بين الناس". وكان يقول: "ردوا الخصوم إذا كانت بينهم قرابة، فإن فصل القضاء يورث بينهم الشنآن".

الجانب التربوي في الصلح:

إن الصلح يعبر عن عدة مضامين تربوية ينبغي على العاقل الحصيف أن يدركها، تتمثل في:

1 – خيرية الصلح، وفضل الساعي فيه لإتمامه، مع عظم الأجر والثواب للقائم به.

2 – سيادة معاني الأخوة والمحبة والحرص في نفس من يسعى بين الناس بالإصلاح، حيث لا يهدأ له بال ولا تقر له عين وإخوانه من حوله على أي مستوى تأكلهم العداوات، وتباعد بينهم الخصومات.

3 – فيه امتثال القائم به والقابل له من الطرفين لأمر الله تعالى.

4 – وفيه معنى العفو والتسامح والتغاضي عن زلات الخلق، وربما يتنازل طرف عن بعض حقه لتحقيق الالتئام وسلامة الصدور.

لهذا كله ولغيره من الأسرار والفضائل والآثار كان هذا العقد الفقهي الاجتماعي صورة معجزة وتشريعا مهما ورئيسا في الشريعة لتأسيس مجتمع إسلامي آمن ومثالي.

وراثة الأرض ومعاييرها (4)

في الحلقة السابقة وقفنا على جملة من سنن الله تعالى في إيراث الدين وتوريثه، ووقفنا عند حقيقة أن الدين من أعظم النعم التي اصطفاها الله تعالى لعباده، واصطفى لدينه خيرة عباده وأورثهم إياه وأمرهم بتوريثه، ووقفنا أيضا على أن العلماء العاملين عليهم المدار في التمسك بالدين والتمسيك به، وفي الفقرة الموالية نقف على قانون آخر في توريث الأرض وما يلحق بها من الماديات، وما يستلزمه من سنن ربانية في التمكين والخذلان.

أولا: وراثة الأرض مشروطة بشروط ومقرونة بأمارات.

تبين الآيات الدالة على إيراث الله تعالى الأرض للعباد أن ذلك مشروط بشروطه ومقترن بأماراته إذا توفرت في العباد، ووفوا بها أفرادا وجماعات، ومن تلك الشروط:

أولها: الإيمان بالله تعالى.

حيث قرن الله تعالى وعده بالاستخلاف والتمكين بشرط الإيمان به وعدم الإشراك؛ قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ... يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

ثانيها: العمل الصالح.

ويدخل في العمل الصالح إقامة شعائر الدين من صلاة وزكاة وغيرهما. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ (الحج: 41). وقال تعالى أيضا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ... وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (النور: 55–56). وقد لفت الشيخ المكي الناصري أيضا إلى أن هذه الأوامر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول ﷺ واتباعه بمثابة "الضمانات الكبرى والدائمة، لتمكين المؤمنين في الأرض، طولها والعرض".

ثالثها: الإصلاح بالدعوة إلى الخير والنهي عن المنكر.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ... وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (الحج: 40–41)، فبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجلب الخير ويدفع الشر عن الأفراد والناس جميعا، وبهما يستمر الدين ويصح التدين ويعبد الله تعالى في الأرض ويقام العمران البشري على العدل والحق، وبانتفائهما ينتفش الباطل من غير مدافع، ويفسد العمران ويحل الخسران كما أقسم بذلك الباري جل وعلا في سورة العصر: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

رابعها: الصبر على البلاء.

فالتمكين في الأرض ووراثتها إنما هو جزاء رباني من الله لعباده المستضعفين المتقين الصالحين الذين صبروا على البلاء واستضعفوا في الأرض وطوردوا وعذبوا لا لذنب اقترفوه، وإنما فقط لإيمانهم بالله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (البروج: 8). لذلك فالآيات التي تحدثت عن إيراث الله تعالى الأرض لعباده الصالحين قرنت ذلك بالمستضعفين الصابرين على الاستضعاف: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ (الأعراف: 137).

ثانيا: من أمارات الحرمان من وراثة الأرض:

إذا كانت وراثة الأرض وإيراثها منوط بالإيمان والعمل الصالح والدعوة إلى الخير ودفع الشر والفساد كان انحراف الناس عن ذلك وإتيانهم بما يخالفه ويناقضه مؤذنا بسلبهم نعمة الإيراث والتمكين، وحرمانهم من سائر الخيرات التي سخرها الله تعالى في الأرض، بل غالبا ما يرتبط ذلك بحلول النقم والهلاك بالتدمير؛ ومن جملة الأسباب المفضية إلى سلب نعم الله تعالى وحلول العقاب ما يلي:

أولها: التكذيب برسل الله تعالى والعناد والجحود بعد ظهور الحق؛

قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ (الفرقان: 32) وقال عز وجل أيضا: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (النمل: 51).

ثانيها: الظلم والطغيان والانحراف عن دين الله تعالى؛

فالظلم على تنوعه وتفاوت مراتبه وأضراره يعد "في حد ذاته أكبر مظهر للفساد في الأرض" (التيسير في أحاديث التفسير الشيخ المكي الناصري). وفشوه مفوت لمصالح العباد وحقوق رب العباد، وأخطرها الإعراض عن شرع الله وتوجيهاته ومعارضتها، وذلك أمارة توجب سلب نعمة الإيراث؛ قال ﷻ: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف: 162).

قال الشيخ طنطاوي في بيانه لدلالة هذه الآية: "والعبرة التي تؤخذ من هذه الجملة الكريمة أن من أمره الله تعالى بقول أو فعل فتركه وأتى بآخر لم يأذن به الله دخل في زمرة الظالمين، وعرض نفسه لسوء المصير" (الوسيط في التفسير طنطاوي).

إنها سنة جارية لا تتخلف: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (القصص: 58–59)، حيث يتبين أن الله تعالى يجري الثواب والعقاب على سننه ﷻ في العدل، فهو سبحانه لا يأخذ القوم بالعقاب والإهلاك إلا بعد صدور البطر والظلم منهم وإعذارهم وإنذارهم من غير أن يرتدعوا ولا أن ينزجروا.

ثالثا: خلاصات ونتائج:

ختاما يمكن أن نستنتج جملة أمور منها:

- أن من فقه الحضارات وسننها فقه قوانين إيراث الله تعالى الأرض ووراثتها لعباده ﷻ.
- أن إيراث الأرض مبني على سنة التدافع والاستخلاف؛ فلا إيراث من غير إيمان وصلاح ودعوة للخير ونهي عن الفساد وصبر على بلاء الاستضعاف.
- أن شروط إيراث الأرض ووراثتها هي شروط الوجود والبقاء والعصمة من الإهلاك، فكلما بقي العباد على العبادة والطاعة والعمل بهدي الله تعالى ضمنوا من الله تعالى -بوعده الذي لا يتخلف- وجود نعمة الإيراث، ونعمة بقائها وعدم سلبها، وعلى قدر تخليهم وانحرافهم وتماديهم في الطغيان يكون السلب وتحل النقمة وينزل الهلاك ويدمر ما أقاموه من البنيان. ولذلك قال صاحب الظلال: "فلا يعطى لأحد جزافا أو محاباة، ولا يبقى لأحد لا يحقق غايته ومقتضاه.." (في ظلال القرآن).
- أن شروط الإيراث والوراثة لا ينفصل فيها الإيمان والعلم عن العمل وعن الدعوة والتبليغ، ولا حقّ الله تعالى عن حق العباد.

الطيب بن المختار الوزاني

وضعية المرأة بين المجتمع الإسلامي والمجتمع الغربي

في إطار المؤتمرات والاتفاقيات الدولية، في دعمها وتفعيل توصياتها، يُنظر إلى قضية المرأة بشكل تعميمي قد يسيئ إليها أكثر مما يفيدها، من هنا يمكن أن نسجل بأن وضعية المرأة المسلمة تختلف عن وضعية المرأة الغربية، وأن أنواع الظلم والقهر وأشكال العنف الممارس عليها قد تختلف معالجته من مجتمع إلى مجتمع آخر، ولهذا لا يمكن تعميم الحلول عليها؛ لأن ما يمكن أن يكون صالحاً في المجتمعات الغربية يمكن أن يدمر المجتمعات الإسلامية، بل إن أغلب الدراسات أجمعت على أن ما تمرره وتبشر به تلك التوصيات هو محاصرة كل ماله صلة بالدين(1)، وتسعى إلى خلق نمط جديد من العلاقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة، وكذلك فإنه يجب التنبه إلى أن الحقوق التي تناضل من أجلها المرأة الغربية، وتسعى إلى تحقيقها وامتلاكها، هي في أصلها حقوق امتلكتها المرأة المسلمة في وقت ازدهار الحضارة الإسلامية، وأن ما يجب أن تناضل من أجله هو إحياء هذه الحقوق واستعادتها من مغتصبيها.

وضعية المرأة المزرية جزء من واقع مأزوم:

قد لا نغالي إذا أثبتنا حقيقة مرة، وهي أن المجتمعات الإسلامية تتقاذفها موجات من الأمراض، إن على مستوى الجسد أو على مستوى الروح. فأينما وليت وجهك تجد أرطالا من المشكلات المادية والاقتصادية، وتخلفا في ميادين التكنولوجيا والعلم، رغم كل ما تبذله من رفع مستوى مادياتها واقتصادها، وليس ذلك إلا سوء تقدير وعدم أخذ بالأسباب من جهة، ومن جهة أخرى تمكن أمراض الروح من الأمة بسبب الجهل بحقيقة وجودها وحقيقة عقيدتها ودينها، والجهل بمقاصد تنزيله ليكون مطبقا في واقعها، والتخلف عن إدراك طبيعة رسالتها تجاه نفسها وتجاه الإنسانية، الأمر الذي أغرقها في الأمراض، وجردها من صفتي الخيرية والشهادة، أفقدها الاتجاه الصحيح لعمارة الأرض بالعدل والإحسان والسلام والتعاون.

وأبسط وأعمق مظهر اجتماعي يثبت ما نقول هو ذلك الخلل المهول في بناء شخصية الفرد المسلم، فهو يصلي ويضع الآيات القرآنية على الجدران، وفي أحسن الأحوال أو المناسبات الدينية يقرؤها ليتذكر أنه مسلم، وفي الوقت نفسه يغش في معاملاته، ويرتشي، ويسرق، ويزني، أي يمكن أن يرتكب كل الموبقات في سبيل المصلحة الشخصية والمادية.

كما أن أوضح مظهر سياسي هو العلاقة بينه وبين سلطة الحكم، التي هي غالبا ما يحكمها منطق القوة والإرهاب والقهر، وهذا ما يجعله يفقد الثقة في نفسه، ويعيش حالات الإحباط والإذلال.

ورغم ارتفاع الدعوات للإصلاح والتغيير، إلا أن أغلبها فشلت في تغيير الناس؛ لأن المنطلق لم يكن شموليا يستحضر الواقع الذي تعيش فيه الأمة، أي يجب ألا يكتفي دعاة التغيير والإصلاح بالدعوة إلى الرجوع إلى منابع ديننا أو تطبيقه، وإنما يجب بالإضافة إلى ذلك قراءة الواقع وفهمه، وإعادة تشكيل عقل المسلم ليعي واقعه في ضوء فهم شمولي لعقيدته، وتصحيح تصوره عن طبيعة العلاقة الصحيحة بين هذا الواقع وبين إيمانه وتدينه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجب العمل على إعادة الثقة في علماء الأمة، العلماء الذين يجمعون بين العلم والتقوى والإخلاص وفقه الواقع، والتلقي السليم عنهم؛ لأن التغيير لن يتم على الوجه الأمثل إلا بصلة العلماء بالأمة وواقعها، وسد الثغرات التي تبعد هذه الأمة عن التقدم والرقي، بالتواصل والحوار والفهم الدقيق للمتغيرات التي تُستحدث كل لحظة. وهنا يمكن أن تكون نسبة التأثير أكبر، وفرص النجاح في الدعوة أكثر في المجتمعات التي تفسخت عراها عروة عروة.

والصورة التي قدمت للمجتمعات الإسلامية، وإن كانت قاتمة، إلا أنها حقيقية، ولكن نستطيع أن نستثني مجموعة من هداهم الله، ووعوا طبيعة رسالتهم في الوجود، من الغرق في مستنقع الابتعاد عن الحق والعدل، ورغم تناميهم ونسبة تأثيرهم في المجتمعات الإسلامية، إلا أن تيار الانحلال والفساد هادر، والمد التغريبي يأخذ بخناق البسطاء والجاهلين لدينهم، وهم يشكلون أغلبية الأمة، رجالا ونساء.

وإذا كانت هذه هي الصورة العامة، فإن المرأة تحتل نصفها، ومع ذلك لا يمكن تعميم هذه الصورة والحكم على وضعية المرأة المزرية في كل المجتمعات الإسلامية؛ لأن هناك من النساء في هذه المجتمعات من تمكنت من فهم رسالتها في الحياة، وأخرجت نفسها من العبودية والتخلف، ولم تسمح لأحد أن يظلمها أو يعتدي على حقوقها مهما كانت قرابته لها، وبالتالي ساهمت في تنمية مجتمعها، سواء في الميادين الثقافية أو السياسية أو الاقتصادية، أو في مجال العمل الخيري، وفرضت على الرجل احترامها واحترام شخصيتها.

ولكن تظل نسبة هؤلاء النساء ضعيفة لا تشكل واقعا عاما، وإنما الواقع العام الذي يتحكم في هذه المجتمعات ما بسطناه سابقا، بالإضافة إلى تهميش دورها وحرمانها من مختلف حقوقها، وتسليط الفهم الخاطئ لبعض المفاهيم الإسلامية عليها من أجل إخضاعها، من مثل مفهوم القوامة.

حقيقة القوامة:

إن هذا المفهوم يشكل ورقة شرعية كثيرا ما تستخدم لتبرير سوء تصرف الرجل مع المرأة، أو ممارسة أشكال الظلم والقهر عليها، لكن الحقيقة أن القوامة إذا نُظر إليها من منظور إسلامي محض في إطار شموليته نجد أنها لصالح المرأة. لماذا؟؟ لأنها تستوجب على الرجل مرغما أن يوفر كل أسباب الراحة والمتعة، ماديا ومعنويا للمرأة، وإلا فإنه يمكن أن يعتبر آثما، لكن هذه المسؤولية التي يجب على الرجل تحملها ارتضت المرأة أن تأخذ نصيبا منها عن تراض منهما، وبالتالي تأخذ القوامة شكلها الطبيعي في الإنفاق وفي شمولية الرحمة والمودة والسكن.

لكن مع الأسف الشديد، وجدت بعض الممارسات الظالمة للمرأة نتيجة ثقافة مترسخة عن مثل الفهم الخاطئ لبعض المفاهيم الإسلامية.

كما أن العلاقات المتخلخلة في المجتمعات بين الأفراد، وبينهم وبين السلطة، جعلت الرجل يفهم من دوره ممارسة كل أشكال الظلم والعنف والقهر والتخلف، وبالتالي فإنه يمارس كل هذه الأشكال التي تقع عليه لمن يعتقد أنها أقل منه أو أضعف منه وهي المرأة. كما أن المفهوم الخاطئ عن التحرر والحرية أخذ المرأة من نفسها ونحا بها تبني النموذج الغربي، ليس في العلم والتنمية وتحقيق الوجود، وإنما في العري والفسق والتبرج، والتركيز على ثقافة الجسد، والابتعاد عن مصدر وجودها، فتضيع وتضيع معها أجيال ممن تقوم على تنشئتهم وتربيتهم.

أشعة من نور:

ومع هذه القتامة في المجتمعات الإسلامية فإننا نجد أشعة من النور تنبع من ثوابت حضارة الأمة ما زالت تعيش فيها هنا وهناك، وما زال الناس يتمسكون بها رغم كل محاولات التغريب وطمس الهوية.

ما زالت المرأة في هذه المجتمعات تعي أن الواجبات التي يفرضها الإسلام عليها متساوية مع الواجبات التي يفرضها على الرجل. فهما معا يقومان بواجباتهما الدينية سواء كانت تعبدية، كالصلاة والصيام والحج والزكاة، أم أخلاقية كالصدق والإخلاص وغيرها، وهما معا يجب أن يتحملا مسؤولية أسرتهما بالتشاور، كما أن وظيفة الأمومة ما زالت تحتل موقعا متميزا في العلاقات الاجتماعية وترابطها، وتقوم بمهمة من أقدس المهمات وأسماها هي تربية الشخصية المسلمة القادرة على مواجهة كل التحديات وعلى بناء مجتمعها بناء قويا ومتينا، من دعائمه الحب والتعاون والتكافل والرحمة والمودة، ولذلك فإن المرأة الأم أو الجدة مازالت في مجتمعاتنا تعيش حياة طبيعية محاطة بالحب الذي زرعته في نفوس المحيطين بها، ومليئة بالمودة والرحمة. وإذ كانت الأهداف الحقيقية من التربية قد خفتت أو اختفت في بعض الأحيان، فإن بذورها ما زالت حية تنتظر التربية الصالحة لنموها.

المرأة في الغرب:

من هنا يمكن القول: إن المرأة ربما كانت تعيش في وضعية أحسن من مثيلتها في المجتمعات الغربية التي غالبا ما تعيش في ظل الوحدة واليأس رغم كل وسائل الترفيه؛ لأنها لم تعد بحاجة إلى الزوج، كما أنها في غمرة تحقيق ذاتها والجري وراء الاكتفاء المادي نسيت وظيفة الأمومة، ولم تؤدها إلا مكرهة في إطار إشباع غريزة البقاء لديها. بل إن أولادها، ناهيك عن أحفادها، لا يجدون الوقت حتى لزيارتها أو الاطمئنان عليها. كما أن الفساد من سرقة وشرب خمر ومخدرات وغيرها، والانحلال الأخلاقي من اغتصاب وشذوذ وزنا المحارم وغير ذلك في هذه المجتمعات، وصل إلى درجة فظيعة أصبح معها الفرد يتوق إلى الانتحار أو يستسلم للجنون.

أما المرأة فقد دلت الإحصائيات، في أمريكا مثلا، أن هناك أكثر من ثلاثة ملايين حالات إجهاض سنويا، وأكثر من مليون ولادة سفاح، وأزيد من اثني عشر مليون يعيشون بدون آباء، وأصبحت الكنائس في معظم بلاد الغرب تعقد زواج الجنس الواحد، أي الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة. وهناك ملايين من الفتيات عاشرهن والدهن معاشرة جنسية، وأن في كل عشر أسر توجد أسرة يعاشر فيها المحارم بعضهم بعضا. أما الولادة خارج الزواج الشرعي فتكاد تصبح هي الأصل في أمريكا وأوروبا، بل إن الدول الغربية تشجع على العزوف عن الزواج بسنها لسياسة الرعاية الاجتماعية، حيث تتقاضى الأمهات غير المتزوجات إعانات اجتماعية تتراوح بين 400 و500 دولار أمريكي عن الطفل الواحد(2).

فهل بعد هذه الإحصائيات، وغيرها أفظع، نريد اقتفاء النموذج الغربي في قضايانا؟؟

وهل نعي أننا ربما نكون سائرين في الطريق نفسه مع ما نشاهده من انحلال وفساد، ارتفاع حالات الطلاق، وعزوف عن الزواج، وجرائم الاغتصاب، في مجتمعاتنا الطموحة إلى التغيير والانعتاق؟؟

وهل آن الأوان أن نتساءل عن طبيعة هذا التغيير؟؟ وإلى أين سيؤدي بنا؟؟

وهل جنينا شيئا من التبعية والاستسلام ومن مسلسلات التنازلات المتعلقة بكل مناحي حياتنا؟؟؟

أعتقد أنه قد آن الأوان للوعي بذواتنا، وللترفع عن التعلق بذيل الحضارات الأخرى، التي تحقق ذاتها في أوطانها، وتوسع مجالها بتصدير فكرها وفرض نموذجها، كي يتغلغل في المجتمعات، حتى تتحكم في الشعوب المستضعفة والمستسلمة، وتستفرد بالرئاسة على البشرية جمعاء بمساهمة منا، ودون جهد منها.

---

1 – يمكن ملاحظة موقف الفاتيكان من مؤتمر بكين بشكل بشكل خاص، حيث اعتبر البابا يوحنا بولس الثاني أن المؤتمر جزء من ائتلاف يسعى إلى هدم الأسرة والدين.

2 – أنظر مقال : محمد الأنصاري، الطاغوت الأمريكي حتما إلى زوال، جريدة المحجة المغربية، عدد 187، فبراير 2003م، ص 12.

د.ة. أم سلمى

تشكيل الحكومة المغربية

بين القواعد الدستورية والبدائل الممكنة

ذ. عبد الرحمن غربي

لا شك أن التعثر والتأخر الذي يعرفه تشكيل الحكومة المغربية الثانية بعد إقرار الدستور الجديد لسنة 2011، أرخى بظلاله على المشهد السياسي في البلاد منذ تكليف رئيس الحزب الذي تصدر نتائج الانتخابات التشريعية بتاريخ 7 أكتوبر 2016 بتشكيل الحكومة.

وإذا كان هذا التعيين أمرا عاديا بحكم أنه ينسجم مع الدستور الذي يقر في الفصل47 منه: أن "الملك يعين رئيس الحكومة من الحزب السياسي الذي تصدر انتخابات أعضاء مجلس النواب، وعلى أساس نتائجها، ويعين أعضاء الحكومة باقتراح من رئيسها". فإن التجاذبات التي وقعت بين من له الحق في دخول الحكومة ومن له حق الاعتراض أو قبول التحالف، أدى إلى توقف المشاورات من حين لآخر، تارة بسبب انتظار انعقاد هيأة من الهيئات الحزبية المعنية بالمشاورات، وتارة أخرى بسبب ارتهان قرارات بعض الأحزاب السياسية بقوى أخرى اتخذت معها تحالفا مطلقا بالدخول إلى الحكومة سوية، أو الخروج منها سوية؟؟...

فما هي الخيارات الدستورية والقانونية لتشكيل الحكومة؟ وكيف يمكن تجاوز حالة تعثر المفاوضات بين الأحزاب إزاء تشكيل الحكومة؟ وما هي البدائل الممكنة من الناحية الواقعية لتجاوز حالة التوقف التي تعرفها المشاورات التي تسبق تشكيل الحكومة؟...

وقبل تحليل هذه الأسئلة لا بأس من التوقف عند اختصاصات المجلس الحكومي وصلاحيات رئيس الحكومة في الدستور المصادق عليه في يوليوز 2011.

أولا- صلاحيات رئيس الحكومة واختصاصات المجلس الحكومي:

ينص الفصل 92 من الدستور على أن مجلس الحكومة يتداول تحت رئاسة رئيس الحكومة، في القضايا والنصوص التالية :

- السياسة العامة للدولة قبل عرضها على المجلس الوزاري.
- السياسات العمومية.
- السياسات القطاعية.
- طلب الثقة من مجلس النواب، قصد مواصلة الحكومة تحمل مسؤوليتها.
- القضايا الراهنة المرتبطة بحقوق الإنسان وبالنظام العام.
- مشاريع القوانين، ومن بينها مشروع قانون المالية، قبل إيداعها بمكتب مجلس النواب دون إخلال بالأحكام الواردة في الفصل 49 من هذا الدستور.
- مراسيم القوانين.
- مشاريع المراسيم التنظيمية.
- مشاريع المراسيم المشار إليها في الفصول 65 (الفقرة الثانية) 66 و70 (الفقرة الثالثة) من هذا الدستور.
- المعاهدات والاتفاقيات الدولية قبل عرضها على المجلس الوزاري.
- تعيين الكتاب العامين، ومديري الإدارات المركزية بالإدارات العمومية، ورؤساء الجامعات والعمداء، ومديري المدارس والمؤسسات العليا.

وللقانون التنظيمي المشار إليه في الفصل 49 من هذا الدستور، أن يتمم لائحة الوظائف التي يتم التعيين فيها في مجلس الحكومة. ويحدد هذا القانون التنظيمي، على وجه الخصوص، مبادئ ومعايير التعيين في هذه الوظائف، لاسيما منها مبادئ تكافؤ الفرص والاستحقاق والكفاءة والشفافية.

يطلع رئيس الحكومة الملك على خلاصات مداولات مجلس الحكومة.

كما أن الفصل101 ينص على أن رئيس الحكومة يعرض أمام البرلمان الحصيلة المرحلية لعمل الحكومة، إما بمبادرة منه، أو بطلب من ثلث أعضاء مجلس النواب، أو من أغلبية أعضاء مجلس المستشارين.

وحسب الفصل 104 فإنه يمكن لرئيس الحكومة حل مجلس النواب، بعد استشارة الملك ورئيس المجلس، ورئيس المحكمة الدستورية، بمرسوم يتخذ في مجلس وزاري على أن يقدم رئيس الحكومة أمام مجلس النواب تصريحا يتضمن، بصفة خاصة، دوافع قرار الحل وأهدافه.

ثانيا- القواعد الدستورية لتشكيل الحكومة:

لقد نظم الدستور المغربي مختلف السلط في النظام السياسي، من سلطة قضائية وسلطة تنفيذية إلى الانتخابات المحلية والجهوية وكذلك الانتخابات التشريعية؛ هذه الأخيرة تعتبر نتائجها حاسمة في أمر تشكيل الحكومة. ذلك أن الفصل 47 من الدستور أقر بأن الملك يعين رئيس الحكومة من الحزب السياسي الذي تصدر انتخابات أعضاء مجلس النواب.(1)

كما أقر الدستور – ولأول مرة- بتأسيس مؤسسة رئاسة الحكومة، بحيث خول لرئيس السلطة التنفيذية صلاحيات عدة ومهامَّ أساسية في قلب النظام السياسي للبلاد.

غير أن اشتراط الدستور التنصيب البرلماني كإطار رسمي وقانوني هو الذي يجعل أمر تشكيل الحكومة من داخل أغلبية برلمانية أمرا ضروريا وحتميا.

فالحكومة يجب أن تنال ثقة البرلمان المعبر عنها بتصويت الأغلبية المطلقة لأعضاء مجلس النواب على البرنامج الحكومي، وهو نفس النصاب القانوني والدستوري المطلوب أثناء اشتغال الحكومة، بحيث ستحتاج لأغلبية مطلقة بمجلس النواب عند التصويت على مشاريع القوانين التنظيمية، ولا يمكن بالتالي أيضا تصور حكومة تشتغل بدون هذا النصاب الدستوري.

وهذا ما يعني بالمقابل أن عدم الحصول على هذا النصاب الدستوري في التصويت على البرنامج الحكومي يعيد الحكومة إلى المربع الأول، ولا يجعل لها أساسا دستوريا لممارسة السلطة التنفيذية، ويجعلها في هذه الحالة أيضا في موقع حكومة تصريف الأعمال، وذلك طبقا لأحكام الفصل 87 من الدستور ومقتضيات المادة 36 من القانون التنظيمي المتعلق بتنظيم وتسيير أشغال الحكومة.

ومن جهة أخرى لابد أن تتشكل الحكومة وفق هندسة ومنهجية موضوعية بعيدا عن التقسيم المصلحي أو توزيع للمناصب بشكل حسابي صرف بين الأحزاب السياسية، وعادة ترتبط الهندسة الحكومية بالتوجهات العامة الكبرى للبرنامج الحكومي . واحترام هذه المنهجية في تشكيل الحكومة تجعل التفاوض أكثر عقلانية وموضوعية.

كما أن الاتفاق المسبق على الهندسة الحكومية يجعل تشكيل الأقطاب داخل الحكومة أمرا متيسرا، وتتفرع عنها الهيكلة الحكومية، ولا يهم هنا من ناحية الفعالية والنجاعة عدد القطاعات الحكومية بقدر ما يتعين أن تكون الأولوية لقواعد الهندسة الحكومية.

فما العمل إذا ما فشلت الحكومة في نيل ثقة البرلمان؟ وما هي البدائل الممكنة عند تعثر الخيارات الدستورية؟

ثالثا- البدائل الممكنة لتشكيل الحكومة:

إن تعثر تشكيل تحالف حكومي منسجم أمر وارد بسبب تباين الاختيارات بين الأحزاب السياسية من جهة، وبين هواجس ترتيب التحالفات قبل الانتخابات وبعدها من جهة أخرى.

فرغم أن الدستور يصرح بشكل واضح أن رئيس الحكومة يعين من الحزب الذي يحتل المرتبة الأولى في الانتخابات التشريعية، فإنه من الممكن أن يجد هذا الأخير صعوبات في تشكيل حكومة منسجمة ببرنامج واحد وأهداف واضحة. ذلك لأن الأغلبية العددية التي ينبغي أن يحوزها في البرلمان تفرض عليه إجراء مشاورات وعقد تحالفات قد يكون من الصعب تأليفها.

وامام احتمال وقوع تعثر في تشكيل هذا التحالف، تبرز عدة بدائل يمكن بواسطتها تجاوز حالة الجمود في المفاوضات، وهكذا يمكن حصر ثلاثة بدائل ممكنة في هذا الصدد:

أ- تشكيل حكومة أقلية: بمعنى أن يشكل الحزب الأول حكومة مع حلفائه دون اشتراط حصول الأغلبية العددية في البرلمان. ما دام أن الدستور يعطي للملك وبشكل حصري صلاحية تعيين "رئيس الحكومة من الحزب السياسي الذي تصدر انتخابات أعضاء مجلس النواب وعلى أساس نتائجها"(2).

فمن خلال هذا النص الدستوري لا يمكن تكليف رئيس حكومة من خارج الحزب الذي تصدر نتائج الانتخابات، كما أنه لا يشترط الحصول على أغلبية برلمانية، بالإضافة أنه لم يقيد رئيس الحكومة المعين بأجل محدد لتشكيل حكومته.

وهنا يختلف نظامنا الدستوري الحالي عن النظام الإسباني الذي يحدد دستورها بوضوح حالة المرور نحو الأغلبية النسبية للتصويت على الحكومة بعد تعذر التصويت عليها بالأغلبية المطلقة، ويتضمن الدستور الإسباني صراحة مسألة السماح بتشكيل حكومة أقلية في حالة امتناع أحد الأطراف السياسية عن التصويت ضد الحكومة، بما يجعل الحكومة منصبة بأغلبية نسبية.

إن عدم حسم الدستور في إشكالات كهذه؛ يجعل من إمكانية تشكيل حكومة أقلية أمرا واردا.

ب - تعيين رئيس حكومة جديد: رغم أن الفصل 47 من الدستور يحصر تعيين رئيس الحكومة من الحزب الذي يحوز المرتبة الأولى، فإنه لم يقيد ذلك بأن يكون – بالضرورة- المسؤول الأول في الحزب. بل ترك الأمر مفتوحا بإمكانية تعيين شخص آخر من داخل نفس الحزب. ترى فيه النخبة السياسية إمكانية نجاحه في تشكيل الحكومة، وتجاوز حالة الجمود. وهذا الخيار مطروح ليس أمام رئيس الدولة فقط، ولكن الحزب نفسه يمكنه أن يختار من يراه مناسبا لمنصب رئيس الحكومة، طبعا مع ضرورة مراعاة مقاييس الكفاءة والتجرد والنزاهة.

إن أمر تعيين رئيس حكومة جديد يكون بعد تقديم هذا الأخير لاستقالته على أساس أنه لم يستطع تشكيل الحكومة، وبالتالي يطلب الإعفاء، خاصة إذا ارتأى حزبه تقديم شخصية أخرى لهذا المنصب.

ج - إعادة الانتخابات: وهو بديل ثالث مطروح أيضا في حالة تعثر تشكيل الحكومة وفق النتائج المحددة.

لكن الإشكال الذي سيعترض هذا البديل هو أولا الكلفة الباهظة للانتخابات ماديا ولوجيستيا؛ حيث تتطلب إعادةُ الانتخابات استعدادات ربما تحتاج إلى شهور، إضافة إلى الكلفة المادية العالية، هذا فضلا عن النفور الذي –ربما- قد يبديه المواطن اتجاه العودة إلى صناديق الاقتراع...

كذلك ليس هناك ضمانة في أن لا تفرز الانتخابات المعادة نفس النتائج، باستثناء أن يعمد المواطنون المصوتون إلى معاقبة المسؤولين عن تعثر تشكيل الحكومة. وهو احتمال وارد لكنه غير مؤكد.

وفي هذا الصدد يطرح إشكال منهجية التصويت وقانون الانتخاب الذي يعتمد نظام اللائحة والتمثيل النسبي الذي يستحيل معه حصول حزب معين على الأغلبية المطلقة، ومن ثم تشكيل الحكومة بمفرده.

وأمام هذا الواقع فإنه يجدر التذكير بأن الدستور المكتوب لا يمكن أن يلم بكل الإشكالات أو أن يتنبأ بكل الاحتمالات، لذلك تم إقرار ما يعرف بالدستور الضمني، وهو عبارة عن أعراف يلجأ إليها المشرع لحل الإشكالات الطارئة وغير المتوقعة.

---

1 – الفصل 47 من الدستور المغربي

2 – الفصل 47 من الدستور

علم التوقيت: مفهومه وفوائده 2\1

اتجه المسلمون لدراسة هذا العلم دراسة دقيقة، وأول من اهتم بعلم الفلك من الخلفاء المسلمين هو "أبو جعفر المنصور" الخليفة العباسي، وفي عهده ترجمت الكتب التي تتحدث عن الفلك عند اليونان والفرس والهنود إلى العربية، فاستوعب علماء العرب هذه المعارف وفهموها، ثم نقدوها وعلّقوا عليها، وابتكروا أشياء جديدة نافعة في حياة المسلمين، ثم اقتدى بالخليفة "المنصور" من جاء بعده من الخلفاء في نشر العلوم، وتشجيع دراسة علم الفلك والرياضيات، وترجمة ما ألفه "إقليدس" و"أرشميدس" و"بطليموس" وغيرهم من علماء "اليونان"، وبذلك خطوا بعلم الفلك والتوقيت وفروعهما خطوات واسعة إلى الأمام، ومهدوا السبيل لمن جاء بعدهم من علماء الغرب في عصر النهضة الأوروبية وفي العصر الحديث. وعلم التوقيت من العلوم المرتبطة بإقامة شعائر الدين، ويستمد بحوثه من الرياضيين والفلكيين والجغرافيين وأصحاب الأزياج والراصدين.

أولا: مفهوم علم التوقيت

تتعدد مفاهيم علم التوقيت على حسب منظور كل معرف له، فمنهم من نظر إلى اللغة ومنهم إلى الاصطلاح.

ففي اللغة:

جاء في المصباح المنير: "الوقْتُ: مقدار من الزمان مفروض لأمر ما، وكل شيء قدر له حينا فقد وقته توقيتا، وكذلك ما قدرت له غاية، والجمع أوقات. والميقات: الوقت، والجمع مواقيت. وقد استعير الوقت للمكان، ومنه مواقيت الحج لمواضع، ووقت الله الصلاة توقيتا ووقتها يوقتها من باب حدد لها وقتا، ثم قيل لكل شيء محدود موقوت وموقت".

وأما الوقْتُ في الاصطلاح:

فمنهم من عرفه بأنه: "علم تتعرّف منه أزمنة الأيام والليالي وأحوالها وكيفية التوصّل إليها، ومنفعته معرفة أوقات العبادات وتوخي جهتها، والطوالع والمطالع من أجزاء البروج، والكواكب الثابتة التي منها منازل القمر، ومقادير الظلال والارتفاعات، وانحراف البلدان بعضها عن بعض وسموتها" (محمد علي التهانوي. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم).

ومنهم من عرفه: بأنه عبارة عن قواعد كلية وقوانين عامة يبحث بها عن النجوم وأفلاكها، وعن سير ما يسير منها، وعما ينشأ عن ذلك من معرفة فصول السنة، ومعرفة ما مضى وما بقي من أجزاء الليل والنهار، ومعرفة أوقات الصلوات الخمس، وتعيين جهة القبلة، ومعرفة حساب الأهلة، وكسوف الشمس وخسوف القمر، ومعرفة عدد السنين والحساب.

ثانيا: حكم التوقيت الشرعي

يختلف حكمه الشرعي حسب الزمان والمكان، وأحوال الناس والمجتمع، في كون حكمه الوجوب العيني على من انفرد، والكفائي على من تعدد، وبهذا يجمع بين الخلاف في حكمه كما حكاه ابن الأنباري في سعود المطالع حيث قال: "وحكمه أنه من فروض الكفاية، بل قيل إنه من الفروض العينية؛ لأنه به تعرف أوقات الصلوات" اهـ.

وقال ابن حجر: وتعلمها أي أدلة القبلة عند إرادة سفر يقل فيه العارفون بالقبلة فرض عين أو في حضر أو سفر بين قرى فيها محاريب معتمدة بحيث لا يخرج الوقت قبل المرور على واحدة، أو يكثر العارفون فيه بحيث تسهل مراجعة ثقة منهم قبل خروج الوقت فيما يظهر فرض كفاية اهـ. وجاء في حاشية الإيضاح: وأما القادر على تعلم الأدلة أي القبلة فهو كالعالم بها فلا يجوز له التقليد....

ثالثا: أهمية علم التوقيت

إن علم التوقيت من أشرف العلوم وأعلاها؛ لأنه يستعان به على التفكر في ملكوت الله تعالى وبه تتعلق فروض الدين الإسلامي، إضافة إلى ذلك فإن اتجاه المسلمين إلى الكعبة يتطلب منهم أن يعرفوا جهة القبلة. وكذلك أيضا موعد الصيام يتطلب منهم معرفة ظهور هلال رمضان، وغير ذلك من أحكام الشريعة الإسلامية.

لقد كان العرب بحاجة إلى معرفة الكواكب، ومواقع طلوعها وغروبها إذ أنهم يهتدون برؤية الكواكب في سيرهم، وفي قوافلهم التجارية، وفي سير جيوشهم؛ لأنهم كانوا يدركون أنه لولا معرفتهم بأحوال الكواكب لما تمكنت قوافلهم التجارية من أن تشق طريقها في الصحراء.

ونجد في القرآن الكريم أكثر من إشارة إلى ذلك منها قول الله تعالى: ﴿والسماء ذات البروج﴾ (البروج: 1) وقوله تعالى: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين﴾ (الحجر: 16).

وقوله تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ (يونس: 5).

ويمكن القول بأننا نجد صلة بين الأحكام الشرعية من جهة والمسائل الفلكية من جهة أخرى. وهذه الصلة قد شجعت المسلمين على الاهتمام الفائق بمعرفة الأمور المتعلقة بالسماء والكواكب.

رابعا: مقاصد علم التوقيت الشرعية

مقاصده الشرعية: يعرف به أوقات الأداء والقبلة، المتعلقين بالصلوات التي هي من أعظم أركان الإسلام، وأفضل العبادات البدنية، ومعرفة الباقي والماضي من الليل والنهار، والطوالع والمطالع من أجزاء البروج، والكواكب الثابتة التي منها منازل القمر، ومقادير الظلال والارتفاعات، وانحراف البلدان بعضها عن بعض وسموتها.

ويستعان به على التفكر في ملكوت السماوات والأرض وما اشتملتا عليه من عجائب وغرائب.

خامسا: أركان علم التوقيت

لعلم التوقيت أربعة أركان أساسية:

الأول: الارتفاع: أي ارتفاع الشمس نهارا أو الكوكب ليلا أو غيرهما، وهو بعد الشمس أو الكوكب عن دائرة أفق البلد في الجهة التي هو فيها من شرق أو غرب، أو شمال أو جنوب، وهو: قوس من دائرة عظيمة تمر بقطبي الأفق وبالجزء المرتفع فيما بين مركزه وبين الأفق.

الثاني: الميل: وهو عبارة عن بعد الشمس عن مدار الاعتدال إلى الشمال أو الجنوب.

الثالث: العرض: أي عرض البلد وهو: قوس صغرى من دائرة نصف النهار فيما بين سمت رؤوس أهل ذلك البلد ومعدل النهار وما بين قطب معدل النهار والأفق.

الرابع: الطول: طول البلد هو بعده من المشرق أو المغرب (وليس للمشرق والمغرب نهاية في الحقيقة عند المنجمين؛ لأن كل نقطة من دائرة خط الاستواء هي مشرق لموضع، ومغرب لموضع آخر، فإذا ذكر المشرق على الإطلاق عني به أقصى موضع من البلاد المعمورة في نواحي الشرق، وكذلك إذا ذكر المغرب على الإطلاق عني به أقصى موضع من البلاد المعمورة في نواحي الغرب، وبينهما نصف الأرض طولا.

والكرة الأرضية قد قسمت على دوائر تمر بالقطبين تسمى بخطوط الطول والهاجرة والزوال، ويقدر طول كل منها 40000 كلم، والخط المار بغرينتش هو غرب لندن هو الخط الأساسي رقمه صفر.

د. عزيز معتصم

الراشيدية: باحثون يطلقون نداء الاهتمام بتراث سوس وسجلماسة

احتضنت رحاب الكلية المتعددة التخصصات بالرشيدية يومي7و8 ربيع الأول 1438هـ الموافق لـ 7 و8 دجنبر 2016 ندوة وطنية تحت موضوع: "المحاضن الأولى للعلم بالمغرب: سوس وتافيلالت الصلات العلمية والسمات الثقافية" من تنظيم فريق البحث قي التراث الشرعي والفكري لسجلماسة وتافيلالت وامتداداته بالغرب الإسلامي وعرفت الندوة مشاركة عدد من الأساتذة والباحثين من جامعات مغربية ومراكز جهوية للتربية والتكوين عديدة بورقات علمية متخصصة، تم توزيعها على أربع جلسات تقدمتها جلسة افتتاحية وأعقبتها جلسة ختامية، تناولت بالدرس والتحليل كل المحاور التي سطرتها اللجنة المنظمة لهذه الندوة، وهي كالآتي:

- **التراث الفيلالي والسوسي في مجالات العلوم والآداب والفنون: علوم** وأعلام، وهو ما تم تدارسه في الجلسة العلمية الأولى.

- **التراث الفيلالي والسوسي في مجال العلوم الشرعية والعربية: علوم وأعلام**، وهو موضوع الجلسة العلمية الثانية

- **السمات العلمية والخصائص الثقافية لكل من التراث السوسي والفيلالي.** خصصت له الجلسة العلمية الثالثة.

- **الوشائج العلمية والصلات الثقافية والحضارية بين سوس وتافيلالت.** تم تدارسه في الجلسة العلمية الرابعة.

وقد سعت الندوة إلى تحقيق أهدافها المتمثلة في التعريف بالعطاء العلمي والأدبي والثقافي لجهتي سوس وتافيلالت في مختلف التخصصات، وخصوصا في مجال العلوم الشرعية والعربية، وبيان السمات العلمية والخصائص الثقافية لعلوم وأعلام الجهتين، ورصد الوشائج العلمية وتشخيص الصلات الثقافية والحضارية بين الجهتين.

وانتهت الندوة بجلسة ختامية تلي فيها البيان الختامي الذي دعا إلا الاهتمام بالتراث العلمي للمنطقة في مختلف جوانبه من خلال "بناء مدونة إلكترونية لسجلماسة وسوس، توقر كتب السجلماسيين والسوسيين" و"إحياء العلاقة التي كانت بين علماء تافيلالت وعلماء سوس من طرف الباحثين والأكاديميين على مستوى الجامعات العلمية أو فرق البحث" كما دعا الباحثون إلى ضرورة "اعتماد ماستر متخصص في التراث العلمي لتافيلالت ودرعة وسوس" من شأنه الدفع في اتجاه تشجيع الطلبة وتكوين أطر علمية كفأة ، لأن التراث العلمي الذي لا يزال أغلبه مخطوطا يحتاج إلى تكثيف الجهود لأخراجه إخراجا علميا لتيسير استثمارها في البحث والدراسة كما تمت الدعوة إلى "إنشاء مجلة علمية جامعية سنوية تعنى بالعلوم والأعلام بكل من سجلماسة ودرعة وسوس" و"وضع خريطة للمكتبات التاريخية بتافيلالت ودرعة وسوس، وتمكين الباحثين منها"

وتجدر الإشارة إلى أنه تخلل الندوة معرض لمنشورات أساتذة شعبة الدراسة الإسلامية، وأعضاء فريق البحث في التراث الشرعي والفكري لسجلماسة وتافيلالت وامتداداته بالغرب الإسلامي.

إعداد: د. عبد الواحد الحسيني

تأملاتٌ في كتاب "يا بُنيّ"، للكاتب: ربيع السملالي

صدر للكاتب المغربي "ربيع السملالي" كتابٌ موسومٌ بـ: (يا بُنيّ)، عن دار المازري، بتونس، سنة (2016)، في طبعة أنيقة تسر القارئ، من مائة وست صفحات؛ يقول كاتبُه في بَوَاعِث تأليفه: "كنتُ أذعتُ بين الناس في بعضِ الصُّحف، والمواقع التواصلية، سلسلة تربوية بعنوان: "يا بُنيّ".. اجتهدتُ في تدبيجها قدرَ المستطاع، أخلصتُ فيها نصحاً وإرشادًا وتوجيهًا لابني بل لأبنائي ولكلّ من تصل إليه كلماتي من أبناء وبنات المسلمين.. فلاقت استحسانًا كبيرًا يومئذ بين القُرّاء، وكنت كلّما أذعتُ جزءًا قالوا: هل من مزيد، فهذه النّصائح نحن أحوج النّاس إليها في هذا الزّمن الموحش الذي نحيا في أحضانه بملل، فحملني كلامُهُم هذا ودفعني دفعًا كي أجتهد أكثر في كتابة هذه النّصائح التي تعلّمتها طيلة ثلاثة عقود ونيّف بين الكتب والنّاس.. وحين توقّفت عن النّشر، أو بتعبير أدقّ حين انتهيتُ من كتابة هذه السلسلة، أشار عليّ بعضُ الأحبّة بجمعها في رسالة لطيفة ليستفيد منها قرّاء آخرون لم تصافحها أعينهم من قبلُ، فوعدتهم بأن أفعل، لكن طال عليّ الأمد فتكاسلتُ ولم أفعل، حتّى إذا كان صيفُ هذه السّنة (2016م) وصدر كتابي (نبضات قلم) بطبعته الفاخرة، وجدتني متحمّسًا للنّظر في هذه السلسلة ومراجعتها ودفعها إلى دار الإمام المازري" (مقدمة الكتاب، ص: 11).

هذا، وقد تَقَصَّدَ الكاتبُ "ربيع السملالي" بلهفة محمومة كشكولا من النصائح، حيث رمى بسهمه مُخْتَلَفَ الموضوعات التي تشكل اهتمام الصّغار. وإذا كانت هذه النصائحُ قد عَلَتْهَا نَبْرَةٌ قويّةٌ صارمةٌ؛ فإن ذلك من قبيل الصّرامة المحبوبة، صرامة الأب الحنون، الخائف على ابنه من الضياع، في زمن كثرت فيه الموبقات، والملاهي؛ غير أنه في كثير من الأحيان سعى الكاتب الناصح إلى تمرير نصائحه بأدب جمٍّ، يحسس قارئه بحرص الأبوة، ورأفة الوالد القدوة. فيضع بين يدي ولده خبرته في الحياة حتى يسير بأمن وأمان، وهو يركب سفينة المستقبل.

والمتأمل للكتاب يجد صاحبه يستشهد كثيرا، بآيات من القرآن الكريم، وأحاديث من السيرة النبوية الشريفة، وأبيات من الشعر العربي القديم، وأقوال الأدباء والمفكرين، من أجل تعضيد نصائحه، وإلباسها حللا موشية، حيث يمرر هذه الجواهر والدرر بلغة سليمة، خالية من الشوائب، إذ يُلبس المعاني ويزينها بالعذب من الألفاظ، والفصيح من كلام العرب. فهو يهشم أباريق اللغة، ويطوع حروفها على قدر عقول أبنائه الصغار، لينسج جملا باذخة ماتعة، تطرب النفس، وتخاطب الوجدان، وتقوّم السلوك، وتهذب وتشذب أغصان النشء، الذي لا تزال في نفسه حاجةٌ إلى أبيه وأمه التي تأويه. فيسري دبيب النفس الإسلامي في عروق هذه التوجيهات والتنبيهات التي حبّرها بتأنٍّ وتؤدة؛ فما أصعب أن تؤلف للصغار من أبناء الأمة؛ فالكاتب "ربيع السملالي" يدرك هذه الصعوبات، فينهج منهجا ونهجا واضحين، حيث يجوع اللفظ ويشبع المعنى، بجميل الأفكار، ورائد الخواطر، فهو لا يثقل كاهل القارئ الصغير (من الصَّغَار، لا من الصِّغر)، بحشو الكلام، والكلام من أجل الكلام؛ وإنما يطرّز اللغة، ويرقّع الألفاظ بخيط الأبوة، وعطف الأمومة؛ ويُمَهِّرُ النَّشْءَ على مصاعب ونوائب الحياة، فيؤهله بخارطة طريق تؤطر أهدافه، وآماله، فيقول الكاتبُ "ربيع السملالي" مخاطبًا ابنه: "كنْ عاقلاً...أتدري ما العقل؟ أن تكف أذاك عن المسلمين، ولا تتناول أعراضَهم بالثّلب، ولا تتبّع عوراتهم، وتفرح بزلّاتهم، ولا ترضَ بما لا ترضاه لنفسك وأهل بيتك.. وإيّاك أن تكونَ مفتاحًا في الشّر رأسًا في إشعال الفتن والتّحريش بين إخوانك، وملء الصّدور بالعداوة والبغضاء وما إلى ذلك من الأفعال التي هي من خصائص إبليس.. باختصار كن في معزل عنِ البشر ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، فإذا لم تستطعْ نفعهم فلا تكن سببًا في ضرّهم.. الزم بيتك وابكِ على خطيئتك واستغفر لذنبكَ وللمؤمنين، وقل: ربّ أدخلني مُدْخَل صدق وأخرجني مُخْرَج صدقٍ واجعلْ لي من لدنْك سلطانًا نصيرًا..." (يا بُنيّ، ص: 76).

وتقول الأستاذة "بيان محمّد علي الطنطاوي" في تقريظ الكتاب: "ربيع له نكهة خاصة؛ لأنّ له شخصيّة مُتفرّدة، ليس كأيّ ربيع عرفته أو عهدته، رياحينه ذات طابع مُتفرّد يَحتار متابعه كيف يُصنّفه؟ أهو ناقد أم أديب أم مؤرّخ للأدب، له في كلّ ميدان جولة، وعنده من كلّ بستانٍ زهرة، اختياراته تدلّ على عقله، ونقده يدلّ على وعيه، ومؤلفاته تدلّ على قناعاته ومعتقده، وصدّه لمخالفه يدلّ على صدقه وجرأته" (يا بُنيّ، ص: 10).

إن كتاب "ربيع السملالي" تأملات هادئة في زمن الضجيج، وتوجيهات رائدة يحتاجها كل ابن من أبناء أمتي؛ كي تفتح أعينهم على الأفق البعيد، والمستقبل المديد، لرسم خطوطهما، بخطى ثابتة، لبناء شخصية متوازنة مؤمنة بالاختلاف والتنوع، ومتمسكة بكلام الله الفريد، وكلام رسول الله ﷺ السديد، ومحافظة على قيمها، ونسيج لغتها العربية.

والكتب في مثل هذا الطّراز كالخيل قليلة –كما قال أبو الطيب المتنبي– ومن نماذج ذلك ما كتبه الأستاذ "فاخر عاقل" في رسالته المفيدة (رسالة إلى ابني) التي نشرها على صفحات مجلة "العربي" الرائدة، وكتاب الأستاذ "أحمد أمين" (ولدي)، وكتابا (يا ابني)، و(يا بنتي)، للشيخ "علي الطنطاوي"، وكتاب (يا بني، موعظة لقمان لابنه)، تأليف "عويض بن حمود العطوي"، وكتاب (يا بني أحب وطنك)، لمؤلِّفه "حسن عمر القثمي"، وكتاب (من والد إلى ولده)، للأستاذ "أحمد حافظ عوض بك"، حيث نقتطف منه هذه العبارات والإشارات؛ لعلها تفيدك أيها الولد الحبيب:

"اعلم – يا بنيَّ – أن الحياة قصيرة، والعلم طويل، وأن اللغة العربية بحر خضمّ لا ساحل له، وأنت لو انقطعت لها، طول حياتك، جاعلاً بغيتك النبوغ فيها دون سواها، لاقتضى منك أن تترك ما عداها من العلوم والمعارف اللازمة لفوزك في الحياة. ولكي تكون لغوياً عربياً أو شاعراً كبيراً، يلزمك أن تنقطع إلى اللغة العربية دون سواها، فتبدأ بحفظ القرآن الشريف والحديث وكتب اللغة المتعدِّدة، وتطّلع على شعر شعراء الجاهلية وتحفظ أشعارهم، وتُتْبع ذلك بشعراء الطبقة الأولى من المخضرمين، وتقف على أيام العرب لتفهم بها ما يقع في أشعارهم منها، وكذلك المهمّ من الأنساب الشهيرة والأخبار العامّة، والأخبار الخاصّة، ثم تنقطع إلى مادة اللغة ومعجماتها، بحيث لا تفوتك منها شاردة ولا واردة، وتجيد دراسة النحو والصرف والاشتقاق، وتتبع اللغة في تطوُّراتها، وإن زدت في ذلك رجعت إلى تاريخ اللغة وأصولها في اللغات القديمة، كالعربية والحِمْيَرية والنبطية والفارسية. ودون ذلك خرطَ القتاد، وإضاعة العمر، ولا أقول فيما لا فائدة فيه؛ فكل اشتغال بعمل جدّي له فائدة تُذكَر، بل أقول فيما لا يؤهِّلك للفوز والنجاح الصحيح في العصر الجديد الذي أنت مقبل عليه، ولكلّ زمان أحكام، ولكلّ عصر تربية واستعداد، والعالم جهاد وجلاد، (من ولد إلى ولده، رسائل في التربية والتعليم والآداب، كتاب الدوحة (64)، س: 2016، ص: 49).

> والكتب في مثل هذا الطّراز كالخيل قليلة –كما قال أبو الطيب المتنبي– ومن نماذج ذلك ما كتبه الأستاذ "فاخر عاقل" في رسالته المفيدة (رسالة إلى ابني) التي نشرها على صفحات مجلة "العربي" الرائدة، وكتاب الأستاذ "أحمد أمين" (ولدي)، وكتابا (يا ابني)، و(يا بنتي)، للشيخ "علي الطنطاوي"، وكتاب (يا بني، موعظة لقمان لابنه)، تأليف "عويض بن حمود العطوي"، وكتاب (يا بني أحب وطنك)، لمؤلِّفه "حسن عمر القثمي"، وكتاب (من والد إلى ولده)، للأستاذ "أحمد حافظ عوض بك".

وأحب أن أختم هذه الوقفة الخاطفة، بما قاله الكاتبُ "ربيع السملالي" في كتابه العاطر الذي وجهه لكل قارئ صغير وامق مشغوف بدفء الأبوة: "يا بُنيّ كلمة ناعمة، تحمل بين حروفها الرّحمة والشّفقة، ونداء جاء كثيرًا في كتاب الله الخالد، لذلك اخترته في هذه السّلسلة التي أرجو الله أن ينفع بها كلّ من تصل إليه، والتي أسديتُ فيها نصحي الخالص إلى ابني بل أبنائي، بل أبناء المسلمين جميعًا.. هذا النّصح المستمدّ من توفيق الله لي أوّلا ثمّ من تجاربي الطّويلة في الحياة بين الكتب والنّاس ولستُ أزعمُ أنّي مبرّأ من كل ما ذكرت في هذه السّلسلة من عيوب، كلاّ بل أنا أوّل المذنبين، وهذه النّصائح أنا أولى النّاس بالعمل بما جاء فيها ونعوذ بالله أن نرى أنفسنا فوق الجميع، أو أن ننظر إليها كما لو كنّا ملائكة لا نخطئ ولا ينبغي لنا أن نخطئ" (الوجه الخلفي للكتاب).

محمد حماني

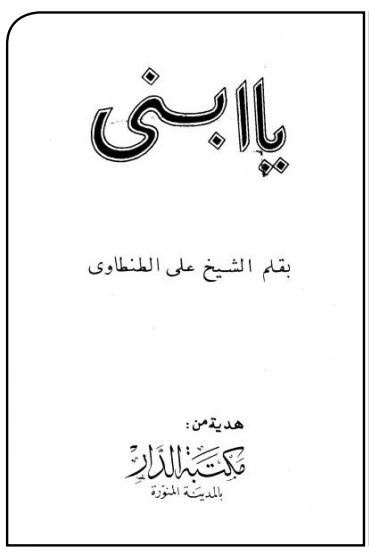

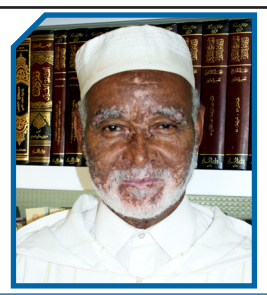

اللغة العربية لغة القرآن الكريم: مباني ومعاني 29

د . الحسين كنوان

ناقشنا في الحلقة الماضية (28) المحجة عدد: 473 كتابة كلمة البنوة، وقدمنا تعليلا لحذف همزة الوصل منها، وأشرنا إلى أن هذا الحذف قيمة خلافية تميز بين درجتي الاسمين من حيث النسب، وفي هذه الحلقة نتابع عرض بقية الأمثلة التي لا حذف فيها، فهمزة الوصل مقرونة بما يميزها من القواعد -كما أوردها ابن قتيبة- وذلك فيما يلي:

سطرنا في الحلقة (27) جدولا لثمانية أحوال لهمزة الوصل مرقمة بترتيب، ناقشنا نوعين منها في الحلقة الماضية (28) (1-7) ونعرض ما بقي منها في هذه الحلقة كما أورده ابن قتيبة بقواعده وهي كما يلي:

2 – هذا زيد ابنك...

يقول ابن قتيبة في سياق حديثه عن كلمة (بن): «فإن أضفته إلى غير ذلك [إشارة إلى القاعدة السابقة في رقم (1)؛ أي إذا كان متصلا بالاسم وهو صفة] أثبتت الألف نحو قولك: «هذا زيد ابنك» و «ابن عمك» و«ابن أخيك»: ويعطف على هذا الحكم؛ أي إثبات الألف في كلمة ابن -أمثلة رقم (3) بقوله: "وكذلك إذا كان خبرا كقولك: «أظن محمدا ابنَ عبد الله» و«كان زيدٌ ابنُ عمرو» و«إن زيداً ابن عمرو» وفي المصحف: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله﴾ (التوبة: 30)، ﴿وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ (التوبة: 30) كتبا بالألف لأنه خبر".

ولكل مثال من بين الأمثلة الأربعة الباقية خصوصية تعليل إثبات همزة الوصل فيه وهي:

4 – قال عبد الله وزيد ابنا محمد...

في هذا المثال يقول: «وإن أنت ثنيت الابن ألحقت فيه الألف، صفة كان أو خبرا، فقلت: «قال عبد الله وزيد ابنا محمد كذا وكذا»، و«أظن عبد الله وزيدا ابنيْ محمد».

5 – جاءني ابن أخي عبد الله...

وفي هذا المثال يقول: «وإن أنت ذكرت ابنا بغير اسم فقلت: «جاءني ابن عبد الله» كتبته بالألف.

6 – هذا محمد ابن أخي عبد الله...

يقول بخصوص هذا المثال: «وإن نسبته إلى غير أبيه فقلت: «هذا محمد ابن أخي عبد الله» ألحقت فيه الألف».

والملاحظ من خلال الأمثلة السبعة السابقة أن واحدا منها هو الذي يستشهد به لإثبات همزة الوصل في اسم البنوة.

أ – «إذا كان الابن متصلا بالاسم وهو صفة». أما بقية القواعد المعلل بها إثبات همزة الوصل لكلمة «ابن» فهي متنوعة في حد ذاتها لا في الوظيفة التي تثبتها بخصوص هذا الاسم، وهي الإضافة إلى كاف الخطاب في المثال (1)، «ابنك» أو مضاف إلى المضاف إلى كاف الخطاب «ابن عمك – ابن أخيك» أو كونه خبرا في الأصل معمولا لأحد النواسخ الفعلية أو الحرفية كما هو واضح في الأمثلة رقم (3) «أظن محمدا ابن عبد الله...» إلى غير ذلك من الخصوصيات التركيبية التي تثبت فيها همزة الوصل في كلمة «ابن» كما هو واضح في بقية الأمثلة (4) و (5). ويبدو أن تنوع قواعد الأبنية التركيبية التي ترد فيها كلمة «ابن» غير التي يكون فيها اسما متصلا بالصفة لا تؤثر في شكل كتابة همزة الوصل فيها بحذفها، فهذه الهمزة ثابتة في سياق الكلام مهما تنوعت أبنية القواعد التي ترد في سياقها. ولذا وردت هذه الهمزة في أكثر من ثلاثين آية في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾ (البقرة: 87)، وقوله عز من قائل: ﴿وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ (البقرة: 177). هذا والعدد الوارد في القرآن الكريم المشار إليه خاص أو يكاد بكلمتيْ ابن السبيل، وابن مريم، أي باستثناء ثلاث كلمات من أربع وثلاثين كلمة.

8 – ونختم الحديث عن هذه الأمثلة التي سطرناها في جدول الحلقة (27) بالمثال الأخير رقم (8) وهو: «هذه هند ابنة فلان» و«هذه هند بنت فلان».

والأمر بخصوص هذا المثال يتعلق بحالة حرفين في كلمة «البنوة المؤنثة هما همزة الوصل من حيث إثباتها أو حذفها، وتاء البنوة التي تكتب هاء عند إثبات همزة الوصل في هذه الكلمة (ابنة) أو تاء مبسوطة عند حذفها (بنْت). وفي هذا يقول ابن قتيبة: "وتكتب «هذه ابنة فلان» بالألف والهاء [ويعني بالألف همزة الوصل، وبالهاء التاء المربوطة]. فإذا أسقطت الألف كتبت «هذه هند بنت فلان...» قال الله ﷻ: ﴿ومريم ابنة عمران﴾ (التحريم: 12).

والملاحظ أن الحديث عن همزة الوصل في أغلب ما بين أيدينا من المصادر والمراجع لا يتعلق في الغالب إلا بحالتها التي يبتدأ بها في الكلمة، دون الاهتمام بأحوال الكلمات التي توجب إثبات همزة الوصل في بدايتها أو حذفها على غرار ما تقدم عند ابن قتيبة، ولإثبات هذه الحالة نورد بعض النصوص التي تتحدث عنها فيما يلي:

يقول ابن يعيش -وهو يشرح قول الزمخشري- "إنما سميت هذه الهمزة همزة الوصل» لأنها تسقط في الدرج فتصل ما قبلها إلى ما بعدها، ولا تقطعه عنه كما يفعل غيرها من الحروف، وقيل سميت وصلا لأنه يُتوصل بها إلى النطق بالساكن". (شرح الفصل 136/9).

ويقول ابن جني وهو بصدد الحديث عن أحوال الهمزة بصفة عامة التي منها همزة الوصل: "واعلم أن هذه الهمزة إنما جيء بها توصلا إلى النطق بالساكن بعدها لما لم يكن الابتداء به..» (112).

ويقول بخصوص الكلمات التي تزاد فيها: "وأما همزة الوصل فموضع زيادتها: الفعل، وقد زيدت في أسماء معلومة وحرف واحد.

فأما الفعل فتقع منه في موضعين:

أحدهما: الماضي إذا تجاوزت عدته أربعة أحرف وأولها همزة فهي همزة وصل نحو: اقتدر، وانطق، واستخرج، واحمر، واصفارّ.

والموضع الآخر: مثال الأمر من كل فعل انفتح فيه حرف المضارعة وسكن ما بعده، وذلك نحو يضرب ويقتل، وينطلق، ويقتدر، فإن أمرت قلت: اضرب، انطلق، اقتدر...

وأما زيادتها في الأسماء فعلى ضربين:

أحدهما: أسماء هي مصادر. والآخر: أسماء غير مصادر.

فأما المصادر فكل مصدر كانت في أول فعله الماضي همزة وصل، ووقعت في أوله هو أيضا همزة فهي همزة وصل، وذلك نحو: اقتدر اقتدارا، واشتغل اشتغالا، واستخرج استخراجا، فهذه المصادر، ومنها: اطَّيَّر اطَّيَّارا، واثَّاقل اثِّقالا، و ﴿ادَّارَكوا فيها﴾ (الأعراف: 36) ادِّراكاً.

وأما الأسماء التي فيها همزة وصل فهي عشرة أسماء معدودة وهي: ابن، وابنة، وامرؤ، وامرأة، واثنان، واسم، وأست، وابنُم بمعنى ابن، وأيمن في القسم...

وأما الحرف الذي زيدت فيه همزة الوصل فلام التعريف، وذلك نحو: الغلام والجارية، والقائم، والقاعد، وإنما جيء بها أيضا لسكون لام التعريف... (سر صناعة الإعراب 111/1-116 (بتصرف)).

هكذا يتضح من النص أعلاه أن إثبات همزة الوصل في اسم ابن أصل، وأن حذفها فرع، لكن الذي ينبغي الانتباه إليه هو أنواع القواعد التي أوردها بن قتيبة في سياق حديثه عن أحوال كتابة همزة ابن في سياق الكلام في الأمثلة الثمانية التي سطرناها في جدول الحلقة (27) وناقشناها في الحلقة (28). تلك القواعد التي يجب على مستعمل اللغة العربية أن يكون على بينة منها بدليل الخطاب الموجه إليه مثل قوله: «كَتَبْتَهُ» و«وإن أَنْتَ ثَنَّيْتَ الابن ألحقتَ فيه الألف» وهكذا تكرر ضمير الخطاب في الأمثلة التي أوردها ابن قتيبة في شرح هذه المسألة، وهذا يذكرنا باستعمالات سيبويه كما مر في الحلقة (24) التي وضعنا لها عنوانا فرعيا هو: "دليل المعلم لإرشاد المتعلم".

النوع الثالث: مقابلة بين نوعين من الكلمات كما أشرنا إليه في الحلقة (26) وفيه يقول الثعالبي: "فصل في الجمع الذي ليس بينه وبين واحده إلا الهاء. هذا الجمع يذكر ويؤنث وهو كقولهم: ثَمْرٌ وثَمْرَةٌ، وسحابٌ وسَحَابةٌ، وصخرٌ وصخرةٌ، وروض وروضةٌ، وشجرٌ وشجرةٌ، ونخلٌ ونخلةٌ، وفي القرآن العزيز: ﴿والنخل باسقات لها طلع نضيد﴾. وقال تعالى: ﴿إن البقر تشابه علينا﴾. وقال تعالى: ﴿والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون﴾. فذكّر وقال في مكان آخر: ﴿حتى إذا أقلت سحاباً﴾. فأنثّ ثم قال: ﴿سقناه لبلد ميت﴾، فرد إلى أصل التذكير». (فقه اللغة وسر العربية 381).

إنها المباني التي تحدد المعاني.

> أما الأسماء التي فيها همزة وصل فهي عشرة أسماء معدودة وهي: ابن، وابنة، وامرؤ، وامرأة، واثنان، واسم، وأست، وابنُم بمعنى ابن، وأيمن في القسم... وأما الحرف الذي زيدت فيه همزة الوصل فلام التعريف، وذلك نحو: الغلام والجارية، والقائم، والقاعد، وإنما جيء بها أيضا لسكون لام التعريف.

من أوراق شاهدة

رسالة مفتوحة إلى امرأة رسالية

أختاه وأنت تستعدين لتنخرطي في صخب عالمي حول يوم يتيم يذكرك بإنسانيتك وبقيمتك ككائن بشري.. صخب يدعونه بـ 8 مارس أو اليوم العالمي للمرأة، تذكري أنك ما خلقت لتظلي مبنية للمجهول وورقة ميتة تحملك الريح العقيم أنى طاب لها المقام، وأنت سليلة الصحابيات الماجدات وخريجة مدرسة النبوة التي رقتك بالإيمان والأعمال الصالحة إلى مدارج المصطفين.

ارفعي رأسك عاليا أختي وافخري بوظيفة خدمة الخلق لإرضاء الخالق، ارفعي رأسك وافخري لاصطفائك رسالية مستغرقة بقرحة التغيير بالتي هي أحسن، حساسة أمام التعاسات التي تجري فصولها أمام عينيك..

ولأن الله سبحانه خلقك جميلة رقيقة، فإن البشاعات تستفز مشاعرك الرهيفة وتشحذ طاقاتك الخلاقة لمواجهة تلك البشاعات، واستغراقك بدورك الرسالي يلهيك عن الإصغاء إلى صدى صخب انتفاضاتك الصغيرة للانتهاكات التي تصيب شخصك، إذ تعتبرين تصرفات محيطك بما فيها تلك الصادرة عن ذكور أسرتك أو بالبيت الزوجي جزءا من حواجز الاختبار الدنيوي التي تصفي ذهبك وتيمن كتابك وتعظم أجرك، ولأجل ذلك فأنت لست على استعداد لإحالة بيتك إلى فضاء للتربص بقبيلة الذكور وتبييت النية لعقد المحاكمات المارتونية لهم، والسعي لتعليمهم أبجديات المشي فوق البيض ولا ينكسر، مصداقا لوصايا أمك: (النهار الأول كا يموت القط)، علما أن القط إياه لا يموت؛ بل لا يزداد إلا صلفا وجبروتا وسمنة، وفي المقابل فإنه يبري مخالبه إن كان فتانا طينيا وغاوي تحرش لإعادة الإيقاع العائلي إلى لازمة هذا ما وجدنا عليه آباءنا بكل سلطان الذكورية الجاهلية ولسان حاله يردد: (اللي حط شي عصا كا يتضرب بيها).

والأصل أختاه في رزنامتك الرسالية التي تتغذى وتتقوى من المعين النبوي الرسالي أن تبرمجي شاشة عواطفك على التغافل عن معيقات المودة والرحمة، وتستعيني بمفاهيم التطاوع ومصطلح "واخا" الذي قال فيه أجدادنا الحكماء: (كلمة "واخا" ما تقضي حاجة ما تخسر خاطر) و"واخا" أيتها الأخت الرسالية تقضي الحاجة بكل تأكيد، ألم يقل سبحانه: ﴿ادفع بالتي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ (فصلت: 34). وتطاوعها رباني يتوخى حفظ البيت من مخلفات الاختلاف مصداقا لوصية المصطفى صلى الله عليه وسلم لأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل وهو يبعثهما إلى اليمن: "بشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا وتطاوعا ولا تختلفا".

أختاه أيتها القارورة الغالية إنك بصدد تنزيل عقد السلعة الغالية؛ سلعة الجنة، فيصدق فيك حديث المصطفى عن المتبايعان: "فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما".

والطاعة أختاه هي لله قبل أن تكون لمخلوقاته، وهي طاعة تحريرية لكل الطاقات الخيرة التي تنبثق من الحديث النبوي: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"؛ طاقات الانصياع للمعروف وبالمعروف إياه، أنت لا تطيعي زوجك فحسب؛ بل رئيسك في العمل وأستاذك في الجامعة، والشرطي الذي ينظم مرورك، وحتى البائع الذي يزن لك مشترياتك. وطاعتك لا تبرر الشطط في معاملتك ولا الخضوع لسلوك من سماهم المصطفى بالمنفرين باسم الدين، ويبقى الإعراض عن الجاهلين سلاحك الأقوى.

وبالمناسبة.. أليست هذه المساحيق والعمليات التجميلية للتشبيب التي تخسر فيها النساء دم جوفهن، نوعا من القربى والطاعة لميولات الحبيب الجمالية، وإن قالت نساء، أنفة وكبرياء أن التجمل هو للنفس فحسب؟؟.

لكن ماذا لو كانت الطاعة لوجه الله والسعي التجميلي للروح كما الجسد ولمضغة القلب مرضاة لله واستجابة لرسوله الذي لا يدعوك إلا لما يحييك أختي؟..

أختاه يطول الكلام وأقول لك فقط كما تقول العرب: "لا تكوني ريحا فتلاقي إعصارا"، فإنهم وإنهن يستعدن لهيجان جديد مع قرب مناسبة الوأد الجديد للمرأة .

إنهن يشحنن بطاريات السب والشتم اللحظة تهيئا للخروج في العديد من مناطق العالم ليصرخن بصدور عارية لطخها حبر الاحتجاج من خلال لائحة مطالب انتقائية لا تعادي من الجور الذي يعصف بحقوق المرأة إلا ما يدور في بلاد المسلمين لتنسبه إلى القرآن والسنة و"داعش وهي صناعة قادتهم" وتجيش العالم ضد الإسلام في الوقت الذي تموت فيه نساء بورما وسوريا وقبلهن الفلسطينيات بالعشرات ولا حياة لمن تنادي من عاريات الصدور أو من يحرك خيوطهن عن بعد..

وبالتالي عليك أختي الرسالية أن لا تكتفي بعدم تبني خرافاتهم بل أن تحركي فكرك الدعوي الرحيم أسوة بنبيك لتدخلي عليهم الباب وتريهن من نفسك ورشدك وتوازنك وفيض عطاءاتك التي زرعها الإسلام نباتا طيبا فتجذبيهن من معيشتهن الضنكة وتيههن المكين. ولن تفعلي وتنجحي في دعوتك إلا إذا تخلصت من شحنة الإستعلاء واعتبار كل من لا يشبهك هالكا.

مسكينات هن.. إنهن ضد تسليع المرأة وتهميشها؛ لكنهن حين يخرجن عاريات الصدور يكرسن سلعية أجسادهن وينفرن الرجال حتى من احتمال مراجعة سيرة وأد كرامة النساء، فهل تتسلمي المشعل لتوقظي كلا الطرفين من هذا الخواء والعداء المستديم؟؟..

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

العلم والعلم اليقين

دة . ليلى لعوير

نتنفّس الصّعداء عادة ونحن نتلذذ بقراءة كتاب أو متابعة حوار علمي أو مناقشة أهل العلم فيما يزيدنا إحساسا بأن الإنسان يساوي وجوده، مقدار ما أخذ منه، ومقدار ما فهم، ومقدار ما تعلّم، ومقدار ما تفاعل معه وبه ولأجله، فأدرك بعدها أنه يمشي إلى النور، فلا جوّ رائقاً كذاك الذي يبني داخلك، ويكسبك الحكمة في الحياة لأجل الحياة ذاتها فـ(هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون..) لا يستوون، إقرار رباني بأنّهم لا يستوون. لماذا؟ لأنّه في اعتقادي أنّ الجاهل صَنّاع مشاكل والعالم حلّالها، وشتان بين من يصنع المشكلة وبين من يذيب العقل للتفكير في حلّها.

تؤتى الدنيا بالعلم، وتؤتى الآخرة -لمعتقد فيها- بالعلم أيضا، ولكن حين تحرّكنا الأهواء تتغير المعادلة، ويثبت حلّها في ضرورة الوقوف على ملغزات الوجود ومغاليقه لفك ما فيها من أسرار تشي بأنّ الطبيعة هي من تصنع المعجزات لتصوغ للإنسان القول بعدمية الحياة، ومن ثم إعطاء الإنسان العالِم بهذا المقاس شرعية العبث في الأرض بحيث لا يدّخر جهدا في صناعة الموت لأجل أن تبقى اعتقاداته السائدة وسيلته في التباهي بالفساد.

ما نراه في المشرق اليوم من دمار تحرّكه العقول العالمة، وما نلمسه من ضياع بين الأناسي تحرّكه العقول العالمة أيضا، هذه العقول التي استشرفت بقاءها بمحاربة العلم اليقين الذي يرقق القلب ويفتح الوجدان على صنع التّسامي بجعل فضاءات الروح أرقى، وهي تؤسس لبهاء الإنسان الذي لا يفقه سرّه إلا المتسابقون في صنع الفرح وفق ثلاثية الحق والخير والجمال، والتي أيقنّت أنّ نهاية العالَم ليست لعدم، وإنما لعالَم آخر جوهر خلوده التأكيد على أنّ للكون إلها مدبّراً فوق كل تدبير لا يفقه كنهه إلاّ الراسخون في العلم، و الواقفون على الأسرار والمدركون أنّ عَطَلَةَ المسلمين في تعطيل مباهجهم الرّوحية، وتكالبهم على فتات الغير باسم العلم الذي رسخ مركزية الإنسان وألغى مركزية الإله، ومن ثمّ بات الاعتقاد في التغيير والتطوّر لصيقاً بفكرة تغيير الجلد التي تضمن لإنسان اليوم الاستمرار في الحياة وأيّ حياة؟؟

في واقعنا اليوم، نحسّ أنّ كل شيء أفرغ من محتواه؛ برامج التعليم، القائمون عليه، مصادر المعرفة، إبداعات المتميزين،، قراءة الحاضر، استشراف المستقبل، حالة من الإرباك تعمّ كلّ شيء لتعطينا صورة شبيهة بالأفلام الهندية والكورية والتركية الموغلة في الطول لتحفيز الفراغ وشَغْل العامة ولاسيما الشباب والشابات بأنّ الحياة تبدأ في رجل وتنتهي عنده أو العكس، وفق علاقات مشبوهة لا تحتمي بالعلم اليقين، وإنّما تتفنّن في تجفيف منابع النور الموصولة بالوحي لتغرق الإنسان في المتاه والتلاشي باسم العلم الذي يعني في بعده المادي ضرورة تجاوز فكرة الخالق لضمان حياة أمتع يحلّل فيها المحرّم، ويحرّم فيها المباح. فتضيع الأمنيات والأحلام والمشاريع.

صحيح أنّ التكنولوجيا سهّلت علينا الحياة، ولكنها صعّبت علينا التحكّم في أبنائنا وتوجيههم بما يليق، فكم من أب يعاني من عقوق الأبناء، وكم من أم تشكو تمرّدهم أيضا، وبين هذا وذاك يشتغل العقل الواعي على قوله ﷻ: ﴿وقل رب زدني علما﴾. فبالعلم اليقين تزهر الأرض البور وتؤتي أكلها بإذن ربّها كما أزهرت في أيام خوالي صارت في عرف المنكرين لها بعضا من الخرافة والأساطير.

فيا واهب العلم، ارزقنا العلم اليقين.

وضة

صدقة

لبت الدعوة لحضور "صدقة".. ولجت البيت الكبير...

تتناثر الموائد في الحديقة... يتحلق حولها رجال تبدو سيماء غناهم على مظهرهم.. في الجهة المقابلة، تجر نساء أذيالهن الفاخرة... يتحدثن لغة "مولبير"...

يتخذ قرّاء ومادحون مجلسهم على منصة أقصى الحديقة، يتلون القرآن الكريم، ويصدحون بأمداح نبوية...

يفوح المكان برائحة العود الفاخر.. يطوف النادلون على الموائد لتقديم ما لذ وطاب من الأكل...

يُرفع الدعاء للميت... ينتهي الحفل...

تسأل المدعوة بعربية مزوجة بلكنتها الأوربية:

– أين الفقراء؟!

تسألها المضيفة بدورها:

– أي فقراء؟!

– لبيت دعوتكم لي مشكورين لحضور "صدقة"، ظننت أنها لإطعام الفقراء، فإذا هي للأغنياء.. أنا حديثة العهد باعتناق الإسلام، فهل تجوز الصدقة للأغنياء؟!

ذة. نبيلة عزوزي

د. عبد المجيد بنمسعود

قبسات قرآنية

جدلية الموت والحياة

إننا لو سلطنا أشعة التأمل والنظر العميق على ثنائيات الوجود، لتبين لنا بأجلى ما يكون الجلاء، أن ثنائية الموت والحياة تتربع على عرش تلك الثنائيات جميعا، لأمر بسيط وجلي أيضا، يكمن في أن هذه منبثقة عن تلك. فلو أخذنا على سبيل المثال إحدى أبرز الثنائيات وأكثرها حضورا على مستوى المشهد الإنساني على هذه الأرض، وهي ثنائية الإيمان والكفر، لوجدنا أنها تدخل في ما صدق ذلكم الحكم، بل إنها تمثل في مستوى من مستوياته المفهومية داخل الحقل الدلالي للتصور الإسلامي للوجود تماهيا في المعنى، إذ إن الإيمان يعادل الحياة في ذلك التصور أو المنظور، بل ويؤدي إلى أعظم حياة في دار الخلود، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: 64)، بينما يعادل الكفر الموت، بل ويؤدي إلى أعظم شقاء، في وضع لا هو بالحياة ولا هو بالموت، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ (فاطر: 36). ويقول الله سبحانه وتعالى فيما يجسد الحقيقة السالفة الذكر، أي التماهي بين الحياة والإيمان، وكون ضد هذا صنوا للموت والعدم: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: 122)، ويقول الرسول ﷺ: «مثل الذي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» (متفق عليه).

وانطلاقا من هذه الحقيقة الكبرى التي تمثل دعامة أساسية لرؤية الإسلام الفلسفية للكون والحياة والإنسان والمصير، يمكننا أن نقول، بأن مقولة جدلية الحياة والموت -وهو تعبير أبلغ دلالة في سياق هذا المقال والهدف المقصود منه- يمكن أن تمثل الإطار الفلسفي الأوسع الذي يمكن أن تعالج على صعيده أعمق القضايا والإشكاليات التي تواجه الإنسان في خضم هذا الوجود، اعتبارا لما يتيحه من إمكانيات على مستوى المفاهيم، ومن غنى في آليات استثمارها في مجال الفهم والتمثل والتطبيق، بما في ذلك إمكانية المقارنة والموازنة والترجيح، سواء كان ذلك في نطاق الواقع المشهود، أو نطاق تجارب الذين خلوا من قبل.

إن أول شيء يثمره التموقع في إطار هذه الجدلية هو الإيمان بقداسة الحياة وحرمة الأحياء، انطلاقا من كون الحياة والموت من خلق خالق الموت والحياة، وهو ما يتضمنه قوله ﷻ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك: 2). فالله ﷻ هو الكفيل جلت قدرته بالإحياء والإماتة في صورهما المتعاقبة وفي كلا معنييهما المادي والمعنوي: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: 28). فمن الحمق والخبال، ومن الجور والعدوان، أن ينزلق الإنسان في غفلة عن هذه الحقيقة المضيئة إلى مهاوي التطاول على ما هو من اختصاص الله جل جلاله، فيقترف جريمة الاغتيال لبنيان الله في أي شكل من أشكال ذلك الاغتيال.

وإن من شأن رسوخ هذه الحقيقة في وجدان الإنسان المسلم ضمن نسق القيم العقدية، أن تنفخ فيه روح الشجاعة واليقين في مجالدة صروف الحياة، والتحلي بالصبر والاحتساب في تلقي شتى صنوف المصائب والبلاء، في سبيل بلوغ أهدافه الكبرى في الحياة، لأنه يعلم علم اليقين أن موته رهين بأجل لا يقدم ولا يؤخر. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ (آل عمران: 145). كما أن من شأن حضور تلك الحقيقة الدائم في وعي المسلم أن يحمله على الاحتراس من ركوب الظلم واقتراف المعاصي، بل وإلى ركوب الصعاب دفاعا عما يؤمن به من مثل ومبادئ، والمنافحة عن قضايا الإنسان العادلة في خضم التدافع بين الحق والباطل، ويندرج هذا السعي الجريء، من منظور الإسلام وجهازه المصطلحي الدقيق، في سياق مفهوم الجهاد الحق الذي ينزه، وفق ضوابط صارمة، من أي شكل من أشكال العبث والارتجال، فالجهاد في حياة الأمة المسلمة وفق شروطه الحقة، هو فرصة لصيانة الحياة الكريمة للأمة المسلمة، ولمن يرتبط بمواثيقها ويدخل في حماها، وفي التخلي عنه ارتماء طوعي أو قسري في أحضان حياة ذليلة هي في محصلة أمرها أمر من أي شكل من أشكال الموت والعدم.

إن مما يكشف خطورة جدلية الموت والحياة بالمفهوم الفلسفي الآنف الذكر، أن من يتحركون إما خارج دائرته وضوابطه، أو في غفلة عن مقتضياته والتجاوب العميق معه من منطلق الإيمان والانقياد، يسقطون في أشنع الجرائم والموبقات، والتي على رأسها العدوان على الأنفس والأعراض والأموال، وعلى كل مظهر من مظاهر الوجود.

إن الموت، انطلاقا مما سبق، قد يكتسي مظهر الحياة في أبعادها المشرقة، اعتبارا لكونه وقودا يسرج به طريق الحياة، وخزانا يمدها بأنفع الزاد وأقوى العتاد، في حين أن الحياة في أوضاعها الكئيبة الرتيبة في كنف البؤس والمذلة والهوان، تعتبر في عرف العقلاء والحكماء في مقام الموت الذي تنتفي معه مظاهر الحركة والإحساس، إلا في أشكالها البليدة التافهة، والخالية من أي معنى، إلا معنى التلاشي والاندثار.

وصدق الله القائل: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (ق: 19).

أردوغان: سننشئ مكتبة رئاسية للمواطنين بـ5 ملايين كتاب

قال الرئيس التركي رجب طيب أردوغان إنه لا يمكن أن يكف عن القراءة، كاشفاً في هذا الصدد، عن إنشاء مكتبة رئاسية داخل المجمع الرئاسي بأنقرة، تضم 5 ملايين كتاب.

وبين أنها ستكون الأكبر في تركيا، كما ستفتح أبوابها على مدار 24 ساعة للمواطنين.

جاء هذا في مقابلة مع فضائية "العربية" السعودية بثتها يوم الجمعة الماضي، خلال زيارة الرئيس التركي للعاصمة الرياض.

ورداً على سؤال ما إذا كان يجد وقتاً للقراءة خارج اهتماماته السياسية والاقتصادية، ردّ أردوغان: "طبعاً لا يمكن أن أكف عن القراءة في السياسة، ويقدم فريق عملي ملخصات عن بعض الكتب، وأنا أواصل في القراءة وبذلك أستمر في العمل، وهذا يسهل عملي في واقع الأمر".

وأضاف: "إلى جانب ذلك أيضاً أشارك دائماً في مختلف النشاطات والفعاليات، فحياتنا مليئة بالفعاليات، نشارك في افتتاح مشاريع، وفي فعاليات جمعيات وأوقاف ومنظمات مجتمع مدني أو في مناسبات رسمية، ودائماً نلقي خطابات، وهذه الكثافة في إلقاء الخطابات لا يمكن أن تكون بدون قراءة وبدون استعداد أيضاً".

وتابع: "ويمكنني أيضاً من أن أطور نفسي، ومن أجل إرساء أفق جديد من أجل الشعب".

وأردف بالقول: "لدينا مثلاً حلقات نقاش علمي، وكل مرة في الشهر نستجلب عالماً متخصصاً في أي مجال يأتي ويحاضر في موضوع، ثم نتناقش حوله، وتضم هذه الحلقات إخوتي المقربين وأيضاً بعض العوائل، يعني 30 أو 40 شخصاً يشاركون في هذه الحلقات العلمية".

بنبض القلب

ذ: أحمد الأشهب

حكاية نملة

يحكى أن نملة خرجت تبحث عن قوتها كعادتها كل يوم، فمرت ببقعة من سائل أصفر لزج، فدفعها فضولها أن تعرف سر هذا السائل، فارتشفت منه رشفة فإذا بها تستشعر مذاقا لا يقاوم، فقررت أن ترتشف رشفة أخرى، ثم ثالثة، فما زادتها حلاوة هذا الشيء -الذي يدعى عسلا- إلا التصاقا بالبقعة الصفراء، حاولت أن تكتفي بما ارتشفته وتمضي لحال سبيلها، غير أن اللذة أخذت بمجاميع فكرها وبدنها، فقررت أن تنغمس في البقعة حتى تروي غليلها، ففعلت، غير أنها حينما أرادت أن تخرج لمتابعة سيرها وجدت نفسها ملتصقة بالسائل أيما التصاق، فكانت النهاية...

تلك حال ابن آدم مع الدنيا، فحالما ينغمس في ملذاتها يصبح الانعتاق منها أمرا عسيرا، فلو أوتي ابن آدم واديا من ذهب لتمنى أن يكون له واديين، وما يزال يستزيد من مسرات الحياة حتى يلتصق أنفه بالتراب، والإنسان العاقل هو الذي يكتفي من الدنيا بالقدر الذي يقيم أوده، ويستر عورته ويؤمن روعته من غائلة الأيام، وما زاد فوق الحاجة ففيه حق للسائل والمحروم، إن الولوغ في متاهات الدنيا، وعدم الاكتراث بمطباتها ومهلكاتها، يجعل المرء لا يميز بين حلال وحرام، وبين معروف ومنكر، فكل الثمر حلو في شريعة الغاب... تلك هي العلاقة بين النملة التي هلكت ملتصقة ببقعة العسل، وذاك الإنسان الغافل الذي أهلكته ملذات النفس والهوى، غير أن الفرق يكمن في كون النملة غير مكلفة والإنسان مكلف ومحاسب... فهل من مدكر؟!

إشادة دولية بانسحاب المغرب من الكركرات

قالت السفارة الأمريكية بالرباط في بلاغ لها "نشيد بقرار المغرب بالقيام بانسحاب أحادي الجانب لعناصره من المنطقة العازلة الكركرات دعما لطلب الأمين العام للأمم المتحدة".

يشار إلى أنه بتعليمات سامية من صاحب الجلالة الملك محمد السادس، يقوم المغرب، ابتداء من يوم الأحد، بانسحاب أحادي الجانب من المنطقة المذكورة. وذكر بلاغ لوزارة الشؤون الخارجية والتعاون أن هذه الخطوة تأتي "بهدف احترام وتطبيق طلب الأمين العام بشكل فوري".

بدورها، رحبت الحكومة الإسبانية بإعلان المغرب رسميا، يوم الأحد، انسحابا أحادي الجانب فوري من منطقة الكركرات.

وقد تضمن بلاغ لوزارة الشؤون الخارجية والتعاون الاسبانية أن "الحكومة الإسبانية تأمل في أن تستأنف الاتصالات مستقبلا بمبادرة من الأمين العام للأمم المتحدة من أجل التقدم نحو حل سياسي ودائم ومقبول" من الأطراف لقضية الصحراء.

ورحبت أيضا فرنسا بإعلان المغرب أمس الأحد انسحابه بشكل أحادي الجانب من منطقة الكركرات، مؤكدة أن الأمر يتعلق بمبادرة هامة في اتجاه التهدئة، تأخذ بنظر الاعتبار استقرار ومصالح المنطقة.

إسبانيا تمنح الجنسية الإسبانية للمغاربة المرتدين عن الإسلام

قامت الحكومة الإسبانية بتوقيع اتفاقية مع الكنيسة المسيحية تتعلق بمنح الجنسية الإسبانية بسهولة للمغاربة المسلمين المرتدين عن دينهم وتغييره بالديانة المسيحية.

وحسب جريدة "المساء"، فإن الاتفاقية التي وقعها وزير العدل الاسباني ألبيرتو غاياردون مع أنطونيو روكو، رئيس المؤتمر الأسقفي الذي يمثل بابا الفاتيكان بإسبانيا، وتنص على منح الجنسية الإسبانية فورا للمسلمين، وأغلبهم من المغاربة مقابل التخلي عن دينهم الإسلامي واعتناق المسيحية، وتشترط عليهم ترديد أنشودتين دينيتين، الأولى تمجد مريم العذراء والثانية تدعو للنبي عيسى عليه السلام.

رئيس وزراء نيوزيلندا: نحن في حاجة للمهاجرين

قال رئيس وزراء نيوزيلندا بيل إنغليش، الاثنين (27 فبراير 2017)، إنه يتعين على بلاده الاعتماد على العمال المهاجرين، لأن الكثير من المحليين لا يمكنهم اجتياز اختبارات المخدرات في أماكن العمل.

وأدلى إنغليش بهذه التعليقات للصحفيين لدى سؤاله حول تزايد أعداد المهاجرين في نيوزيلندا.

وقال مكتب الإحصاءات في نيوزيلندا في تقرير نشر اليوم، ونقله موقع 24 الإماراتي: إن 71300 مهاجر استقروا في نيوزيلندا خلال عام حتى 31 يناير (كانون ثاني) الماضي.

وفي رده في مؤتمر صحفي على سبب عدم إمكانية الاستعانة بـ140 ألف عاطل نيوزيلندي لسد النقص في المهارات في البلاد التي يبلغ تعدادها 4.8 مليون نسمة، قال إنغليش: إن "أحد العوائق هذه الأيام يتمثل في مجرد اجتياز اختبار تعاطي المخدرات".

وأضاف: "وفقاً لقواعد السلامة في مكان العمل، لا تستطيع أن يكون لديك أشخاص يعملون وهم تحت تأثير المخدرات، والكثير من الشباب لا يستطيعون اجتياز اختبار تعاطي المخدرات".

وكانت دراسة قد نشرت في صحيفة "ذا لانست" الطبية عام 2012، قد أظهرت أن الاستراليين والنيوزيلنديين لديهم بعض أعلى معدلات استهلاك الحشيش و"الميثامفيتامين" في العالم.

الرويضي: الانهيارات في القدس كشفت مخطط الاحتلال لتهجير الفلسطينيين

قال ممثل منظمة التعاون الإسلامي لدى فلسطين السفير أحمد الرويضي: إن الانهيار الأرضي الجديد في حي وادي حلوة بسلوان في القدس المحتلة، كشف حقائق حفريات سلطات الاحتلال الإسرائيلي ومخططاتها أسفل المدينة المقدسة، ورأى أن الحفريات تهدف إلى تهجير آلاف المواطنين المقدسيين.

وأضاف الرويضي في حديث لإذاعة "موطني" الاثنين (27 شباط/ فبراير 2017): إن تهديد 7 آلاف مواطن فلسطيني وطردهم من منازلهم تحت ذريعة أن المنطقة آيلة للسقوط وغير صالحة للعيش، هو هدف الحفريات في حي واد الحلوة في القدس. لافتاً إلى أن هذه السياسة تهدف إلى إفراغ مدينة القدس من المواطنين الفلسطينيين. مشيراً إلى أن غالبية المنازل مهددة بالانهيار نتيجة التشققات المنتشرة في جدرانها بسبب شبكة أنفاق تنشئها سلطات الاحتلال تحت مدينة القدس.

3500 هجوم ضد اللاجئين بألمانيا في 2016

أظهر تقرير جديد لوزارة الداخلية الألمانية تعرض اللاجئين في البلاد لأكثر من 3500 هجوم خلال عام 2016، وهو ما يعادل عشرة اعتداءات في اليوم الواحد تقريبا.وفي رد على مساءلة برلمانية، أوضحت وزارة الداخلية أن هذه الاعتداءات خلفت 560 جريحا في صفوف اللاجئين، بينهم 43 طفلا. وتوضح أرقام الوزارة تسجيل 2545 اعتداء ضد أفراد من اللاجئين في 2016، في حين شهدت مقراتهم 988 هجوما في العام ذاته. وجاء في إحصائية منفصلة تسجيل 217 هجوما في 2016 ضد منظمات ومتطوعين يقدمون خدمات لطالبي اللجوء في ألمانيا.وأدانت الحكومة بشدة العنف ضد اللاجئين، وشددت على أن الأشخاص الذي هربوا من بلدانهم بحثا عن الحماية لديهم الحق في التطلع للحصول على ملاذ آمن.

وزارة الأوقاف تعلن عن موعد أداء مصاريف الحج لهذا الموسم

أعلنت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أن بدء أداء مصاريف الحج لموسم 1438، سيتم في الفترة ما بين 6 و17 مارس المقبل، دفعة واحدة بمكاتب بريد بنك بمختلف عمالات وأقاليم المملكة.

وأوضح بلاغ للوزارة، يوم الثلاثاء، أن هذه العملية ستتم سواء بالنسبة لتنظيم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، أو لتنظيم وكالات الأسفار السياحية المرخص لها رسميا بتنظيم الحج من طرف وزارة السياحة، حسب السعر والمنتوج المحددين بالقسيمة التي ستسلم للمواطن من طرف وكالة الأسفار السياحية التي سيختارها.

إسرائيل قلقة لوجود مسلم بقيادة الحزب الديمقراطي الأميركي

قالت صحيفة "إسرائيل اليوم" إن تل أبيب تشعر بخيبة أمل من انتخاب كيث أليسون نائبا لرئيس الحزب الديمقراطي الأميركي بسبب ما تصفه بمواقفه المعادية لإسرائيل.

وأضافت الصحيفة المقربة من رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو أن أليسون -وهو نائب ديمقراطي بالكونغرس وُلد في ديترويت وأسلم عندما كان عمره 19 عاما- عبّر في السابق عن مواقف مناهضة لإسرائيل، من بينها معارضته تمويل الولايات المتحدة برنامج القبة الحديدية للدفاع الصاروخي، ودعمه تقرير القاضي ريتشارد غولدستون حول الحرب الإسرائيلية على غزة في 2008، التي أطلقت عليها إسرائيل "الرصاص المصبوب".

أخبار سريعة

● **المغرب يطلب رسميا الانضمام إلى المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا**

أعرب المغرب عن أمله بالانضمام بصفة "عضو كامل العضوية" في المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا (سيديلو)، بحسب ما أعلنت وزارة الخارجية المغربية في بيان يوم الجمعة 24 فبراير 2017.

وأشار البيان إلى أنه "بتعليمات" من الملك محمد السادس، "أبلغ المغرب رئيسة ليبيريا إيلين حونسون سيرليف الرئيسة الحالية للمجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا، رغبته في الانضمام إلى هذا التجمع الإقليمي كعضو كامل العضوية".

● **"أمنية بنك" هو الاسم الذي اختاره CIH لبنكه التشاركي الجديد**

كشف أحمد رحو، الرئيس التنفيذي لبنك القرض العقاري والسياحي، عن الاسم الذي سيحمله البنك التشاركي الجديد وهو "أمنية بنك" Umnia Bank.

وأوضح رحو خلال مؤتمر صحفي نظم يوم الجمعة 24 فبراير 2017 في الدار البيضاء أن مجلس إدارة البنك وضع اللمسات الأخيرة على الملف الخاص بالبنك التشاركي وتم إرساله لبنك المغرب، وأنهم مستعدون لبداية العمل حالما تصلهم الموافقة من البنك المركزي.

● **كنديات يقررن ارتداء الحجاب تعاطفا مع المسلمات**

قررت مجموعة من الكنديات ارتداء الحجاب لمدة شهر كامل، تعاطفا مع النساء المسلمات، وتنديدا بالإسلاموفوبيا (العداء للإسلام).

ولقيت فعاليات "اليوم العالمي للحجاب"، الذي يتم تنظيمه في كل أنحاء كندا منذ 2014، اهتماما مميزا في مدينة "فورت ماكموراي" بولاية "ألبيرتا".

● **مسقط تستضيف مسابقة القرآن الكريم والحديث الشريف الخليجية**

انطلقت الأحد الماضي فعاليات "مسابقة القرآن الكريم والحديث الشريف الـ28 لشباب دول مجلس التعاون الخليجي" التي تستضيفها سلطنة عمان وتمتد حتى يوم 3 مارس المقبل، بمشاركة 50 مشاركاً من دول المجلس.

● **الرئيس التشيكي يوافق على حظر التدخين في الأماكن العامة**

وافق الرئيس التشيكي ميلوش زيمان، الثلاثاء (14 فبراير 2017)، على قانون يقضي بحظر التدخين في الأماكن العامة.

ومن المنتظر أن يدخل القانون الذي عرض على رئيس البلاد المعروف بإدمانه التدخين حيز التنفيذ في 31 مايو المقبل وذلك بعد موافقة البرلمان عليه.

● **صحف عربية تبرز الانقسام حول مؤتمر فلسطينيي الشتات في تركيا**

أبرزت صحف عربية بنسختيها الورقية والإلكترونية الانتقادات الموجهة للمؤتمر الأول لفلسطينيي الخارج المنعقد في العاصمة التركية اسطنبول. ودافع عدد من الكتاب عن المؤتمر في ظل انتقادات حركة فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية للمؤتمر الأول من نوعه.ويتضمن المؤتمر الذي ينعقد علي مدار يومين مناقشة قضية اللاجئين الفلسطينيين ودور فلسطينيي الخارج في صناعة القرار في الداخل الفلسطيني وكيفية الحفاظ على مركزية القضية في ظل المتغيرات الإقليمية.

● **استطلاع إسرائيلي: سياسة الحكومة تجاه غزة مضرة**

أظهر استطلاع إسرائيلي جديد أن غالبية إسرائيلية ترى في سياسات حكومتها سببا في تدهور الأوضاع الأمنية في غزة. وبحسب استطلاع للرأي نشر يوم الأحد، فإن 67% من الإسرائيليين يعتقدون أن سياسات حكومتهم تجاه قطاع غزة أضرت بأوضاعهم الأمنية، في حين يرى نحو 69% من الإسرائيليين أن تحسين الأوضاع في غزة يخدم مصالح إسرائيل.

● **إيران تطلب شراء اليورانيوم من كازاخستان**

طلبت إيران شراء 950 طن من اليورانيوم المركز المعروف باسم الكعكة الصفراء، من كازاخستان لتطوير برنامجها النووي، حسب ما أعلن رئيس منظمة الطاقة النووية الإيرانية علي أكبر صالحي، وأشار إلى أن هذه الكمية ستسلم لإيران على دفعات، وستقوم إيران بتحويل آخر دفعة إلى غاز سداسي فلوريد اليورانيوم وتبيعه مجددا لكازاخستان.

مع عبد الله الطيب (3)

لآلئ وأصداف

يلتقطها أ.د. الحسن الأمراني

عندما قرأت تعليق الدكتور عبد الله الطيب: (هذا من قريّ: لا ترى الضب بها ينجحر)، لم أجرؤ على سؤاله عن المراد، وشمرت عن ساعد الجد، ورحت أبحث عن هذا الشاهد، في دواوين الشعراء والقبائل والاختيارات، وكنت أعتمد على وزن القول، فقد وجدته على وزن الرمل: (فاعلاتن فاعلاتن فاعلن)، فرحت أتلمس القصائد التي على بحر الرمل، ولكن دون جدوى. وما زلت أبحث حتى عثرت على البيت كاملا، ولم يكن من بحر الرمل، ولكنه كان من الرجز، وقد أصابه الخرم، أي سقطت واوه في شطره الثاني، وهذا هو:

لا تفزع الأرنبَ من أهوالها
ولا ترى الضّبّ بها ينجحرُ

وهو في وصف فلاة. وفتح علي هذا البيت أبوابا بلاغية، إذ سمى البلاغيون هذا الأسلوب إيجاز الحذف أحيانا، وعكس الظاهر أحيانا، وما زالوا في خلاف حتى بلغوا بها ثمانية أسماء. ومراد البيت هو أن هذه الفلاة لا أرنب فيها أصلا حتى يدركها الفزع، ولا ضب فيها يضطر إلى أن ينجحر في جحره، وذلك مبالغة في أهوال هذه الفلاة. ومنه قول امرئ القيس:

على لاحب لا يُهتدى بمناره
إذا سافه العَودُ النباطيّ جرجرا

أي لا منار بهذا اللاحب، وهو الطريق، فيهتدى.

ووجدنا ضروبا لهذا الأسلوب في القرآن الكريم، ووقف المفسرون عند بلاغته. ومن ذلك ما قال الشنقيطي في (أضواء البيان):

"قوله تعالى: ﴿أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون إني إذا لفي ضلال مبين﴾ الاستفهام في قوله تعالى: "أأتخذ" للإنكار، وهو مضمن معنى النفي، أي: لا أعبد من دون الله معبودات، إن أرادني الله بضر لا تقدر على دفعه عني، ولا تقدر أن تنقذني من كرب. وما تضمنته هذه الآية الكريمة من عدم فائدة المعبودات من دون الله جاء موضحا في آيات من كتاب الله تعالى؛ كقوله تعالى: ﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ (الزمر: 38)، وقوله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا﴾ (الإسراء: 56) وقوله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض﴾ (سبأ: 22) وقوله تعالى: ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (يونس: 18)، وقوله تعالى: ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين﴾ (يونس: 106)، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿لا تغن عني شفاعتهم شيئا﴾، أي: لا شفاعة لهم أصلا حتى تغني شيئا، ونحو هذا أسلوب عربي معروف، ومنه قول امرئ القيس:

على لاحب لا يهتدى بمناره
إذا سافه العود النباطي جرجرا

فقوله: لا يهتدى بمناره، أي: لا منار له أصلا حتى يهتدى به، وقول الآخر:

لا تفزع الأرنب أهوالها
ولا ترى الضب بها ينجحر

أي: لا أرنب فيها، حتى تفزعها أهوالها، ولا ضب فيها حتى ينجحر، أي: يتخذ جحرا. وهذا المعنى هو المعروف عند المنطقيين، بقولهم: السالبة لا تقتضي وجود الموضوع". انتهى كلام الشنقيطي.

ووقف ابن عاشور على هذه الظاهرة البلاغية، وجعلها تحت باب بلاغة القصر، عند قوله تعالى: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾. فقال: "وجملة "إن هي إلا أسماء سميتموها" استئناف يكر بالإبطال على معتقدهم من أصله بعد إبطاله بما هو من لوازمه على مجاراتهم فيه لإظهار اختلال معتقدهم، وفي هذه الجملة احتراس لئلا يتوهم متوهم إنكار نسبتهم البنات لله، إنه إنكار لتخصيصهم الله بالبنات وأن له أولادا ذكورا وإناثا، أو أن مصب الإنكار على زعمهم أنها بنات وليست ببنات، فيكون كالإنكار عليهم في زعمهم الملائكة بنات. والضمير (هي) عائد إلى اللات والعزى ومناة. وما صدق الضمير الذات والحقيقة، أي ليست هذه الأصنام إلا أسماء لا مسميات لها ولا حقائق ثابتة، وهذا كقوله تعالى: ﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها﴾ (يوسف: 40).

والقصر إضافي، أي هي أسماء لا حقائق عاقلة متصرفة كما تزعمون، وليس القصر حقيقيا؛ لأن لهاته الأصنام مسميات وهي الحجارة أو البيوت التي يقصدونها بالعبادة ويجعلون لها سدنة.

وجملة ﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾ تعليل لمعنى القصر بطريقة الاكتفاء لأن كونها لا حقائق لها في عالم الشهادة أمر محسوس إذ ليست إلا حجارة.

وأما كونها لا حقائق لها من عالم الغيب؛ فلأن عالم الغيب لا طريق إلى إثبات ما يحتويه إلا بإعلام من عالم الغيب سبحانه، أو بدليل العقل كدلالة العالم على وجود الصانع وبعض صفاته، والله لم يخبر أحدا من رسله بأن للأصنام أرواحا أو ملائكة، مثل ما أخبر عن حقائق الملائكة والجن والشياطين.

والسلطان: الحجة، وإنزالها من الله: الإخبار بها، وهذا كناية عن انتفاء أن تكون عليها حجة؛ لأن وجود الحجة يستلزم ظهورها، فنفي إنزال الحجة بها من باب: (على لاحب لا يهتدي بمناره) أي لا منار له فيهتدى به". انتهى كلام ابن عاشور.

وقد جعلوا من ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا﴾، أي لا يسألون أصلا، لا إلحافا، ولا غير إلحاف. ولكن الحديث عن هذه الظاهرة البلاغية، ظاهرة الضب الذي لا ينجحر، يطول، وحسبنا ذلك بيانا لما تفتحه ملاحظات الدكتور عبد الله الطيب الموجزة من آفاق.

إلى أن نلتقي

الخطب المنبرية... والدور المنشود (3)

السامع ودوره في الاقتناع والتأثُّر

إن الخطيب مهما أوتي من قدرة بلاغية، وقوة في التأثير في السامعين، لا يمكن أن يكون لكلامه أي تأثير في السامع، إن كان هذا السامع غير حاضر الذهن أو معاندا، أو متمسكا بفكرة مسَبّقة عن موضوع ما من المواضيع المطروقة، أو عن الخطيب ذاته. إن حضور الخطبة، وفي الذهن أفكار مسَبَّقة عن الخطيب من أنه إنسان تقليدي، وأنه لا يواكب العصر، أو أنه متعصب للنص، وغير منفتح على قضايا العصر. أو عن موضوع من الموضوعات التي يثيرها المغرضون، بعدم التسليم بما جاء به الشرع ونصَّ عليه بالنص، والدعوة إلى تجاوز ما جاء به بدعوى تغيُّر الزمان والمكان، كالمواقف التي يقفها البعض من الإرث وتحريم الخمر والربا والتبرج والرشوة وما إلى ذلك.. كل تلك المواقف المنافية لمبادئ الدين حينما تدغدغ ذهن المستمع للخطبة تجعله منصرفا عما يقوله الخطيب من القول الحق في مثل هذه المواضيع، وبذلك تبقى الخطبة المنبرية بعيدة عن أداء دورها المنشود بسبب هذه المواقف المسبقة.

ولهذا السبب تحدث القرآن الكريم عن المتلقي/السامع كما تحدث عن المتكلم، فبيَّن الله تعالى أن المؤمنين يستمعون إلى القول ويتبعون أحسنه ويعملون به: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: 18)، وحذَّرهم من افتعال الاستماع، فقال ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (الأنفال: 21). كما بين تعالى أن من فسدت حواسه لا يتمكن من إدراك الحقيقة ولا الاقتناع بها؛ لأنه لا ينتفع بحواسه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ (يونس: 42).

ولقد كان الرسول ﷺ القدوة المثلى في هذا الباب، إذ أن من شمائله أنه كان إذا حدثه شخص، كان لا يتكلم إلا إذا فرغ ذلك الشخص من حديثه. وكان إذا التفت إلى المتحدث الذي يحدثه التفت إليه بجسده كله، لا بوجهه فقط. ومن مواقفه المشهورة التي هي من هذا القبيل، ما حدَث حينما جاءه عتبة بن ربيعة يفاوضه ويعرض عليه عدة أمور، فقال له قبل أن يتحدث: «قل يا أبا الوليد أسمع». قال ابن هشام: "حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: «أقد فرغت يا أبا الوليد ؟» قال: نعم. قال : «فاسمع مني...»". كما أن الصحابة رضوان الله عليهم ضربوا المثل الأعلى في حسن الاستماع، فلقد كانوا يستمعون إلى الرسول ﷺ وقلوبهم وجلة، وأعينهم دامعة، خاشعين من شدة الإنصات، وكأن على رؤوسهم الطير، بل كانوا أحيانا يغطون وجوههم ولهم خنين.. ومن مواقفهم هذه استنبط بعض السلف القاعدة التالية: "أول العلم الصمت، والثاني الاستماع، والثالث الحفظ، والرابع العمل به، والخامس نشره".

ولقد بين علماء السلف أهمية الاستماع ودور السامع في الفهم. قال الحسن البصري: "إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن القول.."، وقال أبو الدرداء: "أنصف أذنيك من فيك، فإنما جُعل لك أذنان اثنان وفم واحد، لتسمع أكثر مما تقول". وقال عمر بن عتبة لأحدهم، وهو بمكان يسمع فيه سِبابا: "نزِّه سمعك عن استماع الخنا، كما تنزه لسانك عن الكلام به، فإن السامع شريك القائل". وقال صالح المُري: "سوء الاستماع نفاق". بل إن هناك من كان يرى أن الاستماع أجل من الكلام، لأن الله تعالى قدَّم السمع في الذِّكر على وسائل الإدراك الأخرى، كما في قوله ﷻ: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ (الإسراء: 36).

وإن ما جرى عليه العرف في مساجدنا بالمغرب من تذكير السامعين بحديث الرسول ﷺ الذي يرويه الإمام مالك، «إذا قلت لصاحبك أنصت، والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت»، يدل على أن الاستماع إلى الخطيب أمر واجب. كما يدل أيضا على التحذير من الانشغال عن الاستماع إلى الخطيب لما في ذلك من الضرر الذي قد تترتب عنه مخالفة شرعية، أو على الأقل ضياع الأجر، وتفويت للاستفادة. ويعزز ذلك ما ورد في الأثر عن عثمان بن عفان، رضي الله عنه أن "المنصت الذي يستمع للخطيب، له من الأجر مثل المنصت الذي لا يسمع". مما يعني أن الإنصات واجب حتى ولو كان المستمع لا يسمع صوت الخطيب.

أ.د. عبد الرحيم الرحموني